

# تصدير

في العدد 74 من مجلة « قصص » ( أكتوبر 1986 ) اثرنا قضية المصطلح القصصي في اللغة العربية وما تعانیه مسيرتها من بطء وتشتت ومن قلة ضبط وكثرة مترادفات ، وخلصنا الى القول : « ... واذا كان النادي في السنوات السابقة - قد لا يجد الجهات المختصة التي يتوجه اليها بالنداء ، فان السنوات القريبة التي خلت برز خلالها المخاطب المختص بشأن تلك المصطلحات ، نعتني بذلك إحداث المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات وكذلك جمعية المعجمة العربية في تونس . ولهذا فان نادي القصة وأسرة تحرير مجلة « قصص » يتوجهون ببناء حار الى المؤسستين المذكورتين لعقد ملتقى خاص بالمصطلحات التي يقتضيها فن الرواية والقصة كمرحلة أولى تتبعها خطوات أخرى من أجل المصطلح الادبي والفني » .

وقد اهتمت جمعية المعجمة العربية بتونس - مشكورة - بهذا النداء ، فاتصلت بنادي القصة وعقدت معه جلسات تمهيدية أسفرت عن خطوة إيجابية تتمثل في عقد ندوة علمية ، بالاشتراك مع نادي القصة ، موضوعها : « مفاهيم الفن القصصي العربي الحديث ومصطلحاته » .

وذلك أيام الجمعة 27 والسبت 28 والاحد 29 ماي 1988 بنزل المشتل . وقد حددت للندوة المحاور التالية :

- 1 - المفاهيم القصصية من خلال النظريات الادبية العربية والاجنبية .
- 2 - مفاهيم القصة من خلال التنظير والتطبيق بتونس .
- 3 - استقراء المصطلحات القصصية التقنية النظرية في تونس من خلال المدونات .

4 - استعراض المصطلحات القصصية التقنية التطبيقية بتونس : دراسة ميدانية .

5 - مقاربات لوضع المعجم القصصي في تونس : التوحيد والتنميط .  
وهكذا تبدو الجدية التي سوف يقع بها تناول قضية المصطلح القصصي .

واذا تلاقى اهل الاختصاص مع اهل الابداع في وضع المصطلح فذلك يعني الاقتراب من التوفيق قدر الامكان ، كما ان ما نعرفه - عند الجانبيين - من سعي سليم الى المعرفة ، ومن اعتراف وتقدير للمتقدم ، ومن سعة صدر وعمق تصور ، يجعلنا متفائلين بنتائج هذه الخطوة التي تعقبها خطوات اخرى بحول الله .

« قصص »



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## العصفور والقطار

- أبي ، أريد أن تشتري لي عصفور كناري !
- لماذا تريد أن تشتري لك عصفور كناري ؟
- صديقي في المدرسة ، عبد الوهاب له عصفور جميل ! اشتراه له أبوه !
- من قال لك : إنه عصفور كناري ؟
- سألته فقال لي : إنه كناري ، انه يغنى دائما ويقفز دائما أريد عصفورا مثله !
- لونه الاصفر أعجيبك ؟
- نعم أعجبنى كثيرا <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- وغناؤه أعجيبك ؟
- نعم أعجبنى ، أريد عصفورا مثله .
- قل لي : أتريد عصفورا مثله أم عصفورا أحسن منه ؟
- لا ، لا أريد عصفورا مثله إنه جميل جدا ، يقفز دائما في قفصه الكبير ويفغى .
- أتعرف ، يوجد عصفور أحسن منه بكثير ، ما رأيك لو ...
- لا ، لا أريد عصفورا مثله .
- لا أرغبك ، تريد عصفور كناري ، سأشتري لك عصفور كناري ، لكن أريد أن أقول لك : إنك اذا ما شاهدت العصفور الآخر سوف ...
- لا ، لا ، أريد عصفور كناري ، كناري .

– اسمعني أولا ، اسمعني جيدا وانتبه قبل أن تندم فالكناري أولا ليس جميلا ، والمقنين أحسن منه غناء ، وأجمل منه شكلا ، فمناقاره طريف ليس كمنقار الكناري ، وريشه ذو ألوان مختلفة وزاهية وليس كريش الكناري الأصفر ، ورأسه صغير طريف وحول مناقره حمرة وحول أذنيه بياض وحول عينيه سواد ليس ك رأس الكناري الطويل الأصفر الفاقع ، وذنبه مرتفع قائم يرف لأدنى حركة ليس كذنب الكناري الطويل المنخفض الى الأرض ، وتنقلاته في القفص رشيقة لطيفة ليست كقفزات الكناري ووثباته المضطربة المزعجة ..

– لا ، لا ، أريد عصفور كناري مثل عبد الوهاب .

– اتعرف ، واعتقد انك تجهل ولا تعرف ، اذا وجد عصفور كناري في بيت يوجد فيها عصفور مقنين فالكناري يخرس ولا يغني اذا غنى المقنين وينصت ولا يتحرك اذا تعالى غناء المقنين ، وتماذى صافيا عذبا جميلا بل يبقى صامتا يمد عنقه ويميله منصتا صاغيا ، يلتقط كل ما يسمع ثم يحاول تقليده فيأتي بصغير موحش مزعج .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– لا لا ، أريد كناري

– انا كنت صغيرا ، صغيرا مثلك – وصار الاب يتكلم كطفل صغير كابنه تماما تماما – في يوم من الايام طلبت من أبي ان يشتري لي عصفورا ، هكذا عصفورا ولم اقل له كناري او غير كناري فاشتري لي عصفور مقنين اتى به الى الدار في كفه، اذكر جيدا فكانه حدث بالأمس صعدت الى السدة لحيني وأنزلت قفصا ووضع أبي داخله ووضع له الزوان والماء وعلقته في المطبخ ... فنقل في القفص ثم شرب وأمال رأسه وانطلق يغني .. كان يغني طول النهار ، في القائلة عندما تهج كل حركة وتكف ، يزداد غناؤه ، كنت لا انام أبدا ، بل أبي في المطبخ استمع الى غناؤه.. كنت كل يوم أتسلل من غرفة النوم وأدخل المطبخ بحذر وبدون دوى فيشعر رغم ذلك بقدمي فيمسك عن الغناء زمنا ثم يعود شيئا فشيئا يلوي جناحه ، يرفع رأسه قليلا وهو هاجع (منتصب) فوق عوده وسط القفص ويغني... ويفتح باب المطبخ ببطء ويظهر رأس أخي سالم فاضع أصبعي على فمي ويدخل على أطراف أصابعه مبتسما كأنها أنفاسه والعصفور يغني... وبقي نصت ونحن في سعادة لا توصف... ثم يفتح باب



المطبخ بهل ، وتطل أختي فاطمة ، فنشير إليها ان تسكت ، وتقبل علينا بهدوء ، وحذر وهي تنظر الى العصفور ، وتجلس بجانبنا مبتسمة ، مشرقة الوجه ... ثم يأتي أخى علي ...

يبقى القائلة كلها نصت ، نصت الى العصفور بأذاننا كلها وننظر اليه بأعيننا كلها ونحن فى أوج السعادة ... ثم يفتح الباب وتدخل أنا فجأة فتجدنا كلنا فى المطبخ قبالة العصفور فتغضب ... وتقطب حاجبيها وتخاصمنا وتقول لنا .

« الشياطين ثقيل وأنتم لا تقيلون ، العفاريث تنام وتهجع وأنتم لا تنامون ولا تهجعون أبدا ... ؟ »

ثم تسكت ، ويعود إليها هدوؤها شيئا فشيئا وتبقى صامتة مفكرة زمنا ثم تقول لنا محدثة نفسها فى آن واحد :

« تبكون هكذا مع العصفور أحسن من الخروج الى الشمس والشوارع فى القائلة » .

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— أنا أريد عصفور

فى العشية عندما ترتفع الشمس نخرج العصفور الى وسط الدار ... وأخرج أحيانا إلى الشارع ... ويوما عدت الى الدار فوجدت عصفورا آخر فى قفص ثان ففرحت فرحا ليس بعده فرح وسألت أمي فقالت لى :

— ان عصفورى هو الذى ناداه ، مكث زمنا فوق السطح ثم نزل فوق القفص فصعدت فوق كرسي وأمسكته .

— اريد عصفورا كعصفور عبد الوهاب

لم يسمع الأب كلام ابنه ولم ينتبه بل تابع قائلا :

— ويوما آخر ، عدت الى الدار فوجدت عصفورا ثالثا فى قفص ثالث ، فكنت أخرج من عقلي من شدة الفرح. كانت أمي تخطيط الملابس فى العشية. وأمامها براد الشاي والكانون ، رفعت رأسها على حين غفلة ، فشاهدته فوق قفص عصفورى فصعدت على كرسي بحذر وقبضت عليه ...

ويوما فتح له ابي باب القفص فخرج ، وصعد فوق السطح ثم حلق في السماء وابتعد ، فكنت اموت من شدة البكاء والاصباح والتخييط على الأرض ٠٠٠ مضت ساعة ثم عاد ، عاد ونزل فوق القفص فلم اصدق عيني ثم دخل قفصه فكنت اطيير وأحلق وأصعد الى السماء من شدة الفرح ٠٠٠ وصار كل يوم يفادر القفص وكل يوم يقوم باكرا وينطلق عند الفجر أو قبل الفجر ٠ قمت مرة في السادسة فلم أجده واستيقظت مرة في الرابعة فوجدت القفص خاليا ، ونهضت مرة في الثالثة فوجدته ما زال نائما ... بقيت اترقب وانظر اليه واترقب ولم ادر كيف اخذني النعاس فنمت ٠٠٠ ثم ايقظني ابي ، فتحت عيني بسرعة فشاهدته امامي ينظر الى مبتسما مشييرا الى العصفور وهو يرفرف بجناحيه وسط الدار ويحلق قبل ان يعلو ويرتفع في السماء وينطلق ٠٠٠ وفي العشية ، عند الغروب نخرج له قفصه وننظفه ، ونغير له الماء ونضع له الزوان والجلجلان ونلصق له احيانا التين الجاف في اعواده ونفتح الباب ونعلق القفص بسلك رقيق على الشريطة لكي لا يفر به النمل ، وبقي ننتظر عودته ، نترقب رجوعه بفارغ الصبر ٠٠٠

ARCHIVE - اريد عصفورا كعبد الوهاب كساري ٠٠٠

سكت الاب دفعة واحدة ، بقي برهة لا يتحرك كأنه يتراقب حتى يعود بسرعة من زمن الصغر الى زمنه هذا ٠٠٠ ثم قال لابنه وقد عاد اليه صوته الطبيعي :

- يوجد حل ، اتعرف يوجد حل .

- ٠٠٠٠٠٠

- نعم ٠٠٠

- يوجد شيء آخر اجمل واحسن من العصافير كلها واعتقد انك ستوفئني وترضى ٠٠٠

- لا ٠٠٠

وتابع الاب قائلا لابنه مبتسما :

- قل لي ما رأيك في قطار ، قطار جميل - وازداد ابتسامة - يتحرك بسرعة فوق سكة حديدية مثل قطار الهادي ؟

- ..... .

- يقف كلما أردت ويسرع في سيره كلما أحببت وأه عربات كثيرة مختلفة

الالوان ...

- أريد أنه عربات أكثر من عربات الهادي .

- نعم أشتري لك قطارا له عربات أكثر من عربات قطاره .

- أريده يصفر ويدخن .

ضحك الاب ثم أجاب ابنه قائلا :

- لا أستطيع ان اشتري لك قطارا. يدخن أولا لانه يملأ لنا الدار دخانا. ثانيا

لانه لا يوجد في الدنيا كلها قطار صغير يدخن .

- يصفر اذن !

\* \* \*

- اتعرف يا ابي انه قطاري يقف في كل محطة ، وأستطيع ان انقله من سكة

الى سكة ، واجعله يصفر كلما اقترب من مدينة او بلدة ، او حتى من قرية .

انظر الى عرباته ، انها ملانة بالركاب - الاطفال يتفرجون من النوافذ ، انا فرحان

انه أجمل بكثير من قطار الهادي وأحلى منظرا وأسرع تحركا وانتقالا ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم التفت الطفل الى ابيه فشاهده يحمل قفصا صغيرا فصاح بفرح كبير ،

لا يحد :

- آه !! عصفورا اشتريت عصفورا ، اشتريت لي عصفورا !!

فأجابه ابوه قائلا مشيرا الى العصفور بأعجاب كبير :

- انظر ما أجمله !! ما أحلى ألوانه المختلفة الزاهية وما أبهاه !! انظر إلي

- اشتريته لي ، اشتريته لي !!

- انظر ، انظر الى ذيله المرتفع القائم انظر الى منقاره الحاد سأشتري له

قفصا كبيرا وجميلا وأشتري له الزوان والجلجلان وأضعه في قاعة الجلوس

سيملأ لنا الدار غناء ... وعند ، وعند الهجير نذهب على اطراف الأصابع ...

وندخل القاعة بحذر وهدهو ...

محمود بلعيد

## حكاية الحمار الأصهب ...

خرافة شعبية ...

- 1 -

فى زمان ، قد لا يكون زماننا ... وقد يكون ...  
وفى بلاد ، قد لا تكون بلادنا ... وقد تكون ...  
كان هنالك ... سلطان ...  
سلطان شرقي ...

قصير القامة ...  
عظيم الهامة ...  
كبير العمامة ...  
  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان سلطانا شرقيا .. وحاكما عاديا .. لم يكن أكثر من سلاطين الشرق دهاء ... ولم يكن أقل حيلة ... غير أنه تميز عنهم ، بحبه العجيب ، لحمار أصهب غريب .. وكان الحمار يا بني ، لطيفا فى بنيتة .. طريفا فى هيئته ... رشيقا فى حركته ... بديع التهيق ... رقيق التهيق .. لم تعرف الدنيا له شبيها ، فى فصيلة الصاهل والشاجع والناعق ...

وكان السلطان معجبا بالحمار الاصهب ، اعجابا هو الى الهوس أقرب .. يسابق به فى الحلبة ... ويتباهى به فى المجالس ... ويريه لمن هب ودب من الوجهاء والامراء والسلاطين ... حتى صار الاصهب الميمون أعجوبة الزمان كله ... تشد اليه الرحال ... وتحط عنده الركاب ... والسعيد السعيد من يحظى بنظرة اليه ، ولو من بعيد ...

وقد أفاض الشعراء فى مدح خصاله بقصائد عصماء .. وأشاد بمزاياه  
الخطباء .. وسرعان ما تحول الشعر الى غناء ، يردده المنشود فى بلاط  
القصر ، فيطرب له السلطان غاية الطرب .. ويزيل عنه الهم والغم  
والغضب ... فيغدق عليهم العطاء تلو العطاء ... وعم بذلك الخير  
والرخاء ...

لكن الطريف فى الامر يا ولدي ... أن الأطباء اكتشفوا فى روث الحمار  
دواء يشفى من كل داء ... وفى شعره بلسما يحرق كالبخور ، فيزيل  
السحر عن المسحور ... وما كاد الخير ينتشر فى الانحاء ... حتى تحول  
البلد الى قبلة للزوار من المرضى والعميان والكسحاء ... وكان الله يا بني ،  
ما خلق « الصهب » المبارك الا لينشر الخير فى البلاد ... ويضفي الرزق على  
العباد .. فتبارك سحر شعره .. وتباركت كيمياء روثه ..

- 2 -

تكريما للحمار الاصهب ... أمر السلطان بتشيد اصطبل مرمرى يدور  
مع الشمس حيثما دارت ... فكان اصطبلا عجيبا ، يضاهى الخورق فى  
رونقه ... ويضارع السدير فى روعته ... وقد نقشت قبابه بالزخارف  
الاندلسية ... وفرشت ردهاته بالزرابى القيروانية ، والابسطة  
الفارسية .. وكلما اتسخ بساط استبدل ببساط .. فكان الاثرياء  
والوجهاء والاعيان ، يتنافسون على اقتناء الابسطة الملوثة بالروث السحري  
المبارك ، ويدفعون مقابلها اثمانا باهظة ، ليفرشوها فى قصورهم ،  
ويعرضوها على زوارهم ... تفاخرا وتباركا بالاصهب الميسون ... أو  
تظاهرا بالولاء للسلطان المصنوع ... فالتاس يا ولدي على دين ملوكهم على  
مر الزمان والاحقاب ... للقوي يصفقون ... وعلى الضعيف يصفرون ...  
لكن دوام الحال من المحال .. اذ ما يدري السلطان يوما ، الا والحمار المدلل  
عليل .. رفض ما قدم اليه فى المelf من فسق وبندق .. وضل منتصبا  
على قوائمه .. منكس الرأس .. مدلل الاذنين .. محزونا ..

هاجت البلاد وماجت .. وفزع السلطان واغتم .. ونادرا ما كان يفزع  
أو يغتم ... فجمع بياطرة القصر ، وشاورهم فى الامر ... فتقدم كبير

السواعي ٠٠٠ وكان بسلك الحميم خبيرا ٠٠٠ وبطباؤها بصيرا ٠٠٠ يعمده أطباء عصره حكيمًا لا يجارى .. وأديبا لا يبارى .. ما كاد يمرر يده على ظفر الحمار ، حتى صاح فى انبهار :

— إنه العشق يا مولاي ٠٠٠ ولا شئ غيره ٠٠٠ يعرض للانسان كما يعرض للحيوان .. وفصيلة الصواعل والشواجح والنواحق أشدها تأثرا بالهوى ٠٠٠

— لم أفهم بعد !

— اعلم يا مولاي ، أن الحكماء تنازعوا فى ابتداء وقوع الهوى وكيفيته ٠٠٠ وما علة وقوعه بعد أن لم يكن .. وزواله بعد كونه ؟ .. وقد قال أبوقراط « هو امتزاج النفسين كما لو امتزج الماء بماء مثله .. والنفس أعطف من الماء وأرق مسلكا ٠٠٠ غير أن ابتداء حركته من القلب ، ثم تسير الى سائر الاعضاء ، فتظهر الرعدة فى الاطراف ، والصفرة فى الالوان ، والجلجلة فى التنهيق ، والبهجة فى الشهيق ، وكثرة العثار فى الطريق ٠٠٠ »

— أتعني أن الاصبهب عاشق ٠٠٠ ؟

— أجل يا مولاي ٠٠٠ ولا بد من العثور على آتان تتناسبه ٠٠٠

— وهل توجد آتان تتناسب الاصبهب يا اخفى ؟ <http://www.betha.net>

— لم لا ٠٠٠ اذا توفرت فيها مواصفات آتان الاصفهاني ٠٠٠ ؟

— لم أفهم !

— اعلم يا مولاي ، أن بشارا كان يملك حمارا عجيبا ، احتار العلماء الى أى فصيلة ينتسب ٠٠٠ اللصاعل ، أم الشاجح ، أم الناهق ٠٠٠ لكنهم أجمعوا أنه فريد فى نوعه ٠٠٠ اذ فاق الجياد فى السرعة والكبرياء ٠٠٠ والبغال فى تحمل الاعباء ٠٠٠ والحميز فى الصبر على الشقاء ٠٠٠

وكان الى جانب ذلك ، يجيد قرض الشعر بلغة الحميز ٠٠٠ وقد مر يوما ببيت الاصفهاني ، فرأى آتانا فضلت كل آتان ٠٠٠ ولها خد أسيل مثل خد السنغران .. تيمته بهواها ، وثناياها الحسان .. فمات من العشق ، لانه يأبى أن يعيش فى هوان ٠٠٠ وقد ترجم بشار شعره ، بعد أن رآه فى المنام ٠٠٠ وإني أرجح يا مولاي أن يكون هذا الحمار جدا للاصبهب الميمون ٠٠٠

★ ★ ★

ومن حينه كتب السلطان الى عماله في الامصار ... واصفا لهم شعير  
الحمار ، كما ترجمه عنه صاحبه بشار ... وأمرهم في الابان ، بالبحث عن  
أتان تضارع أتان الاصفهانى ... ذات غنج ودلال ... وبهاء وكمال ...  
عساها تسحر الاصهب ، مثلما تيمت جدتها جده ..

تهامس الناس بالحبر سرا ... ثم تناقلوه جهرا ... وسرعان ما تجمعت  
في الاسواق قوافل الحمير ، قادمة من كل الانحاء .. حتى ضاقت بها  
الطرقات والاحياء ... وكل تجارة سواها كسدت ... حتى تجارة العبيد  
والاماء .. أغلقت أسواق الرقيق ، فتحول النخاسون الى مكارين يبيمون  
ويشترون ... وعلى إناث الحمير يتسابقون ويتنافسون ... فسبحان من  
يغير ولا يتغير يا ولدى ... وتبارك الاصهب الميمون ودام خيره ...

ويوم عثر أحد العمال على « الصهباء » ضج الناس بالتكبير والتهليل ...  
وعمهم الفرح ، فاظهروا الغبطة والسرور ... وكان يوما مشهودا ... فقد  
أقام لهما السلطان عرسا ، تجاوز المقدار في البهاء والجمال ... حيث لم ير  
الناس مثله ذلك اليوم .. ولا مثل تلك الزينة ..

جمل الاصهب بالديباج الاحمر والاخضر ، وأنواع من الحرير الملون ،  
منسوج بالذهب ، قد رصع بأنواع الياقوت والجوهر ... أما الصهباء فقد  
زينت باكلیل ليس فيه من المعادن الا الياقوت الاحمر ، والزمرد الاخضر قد  
شبك بالذهب ...

ورغم كل مظاهر الزينة ، ظل الاصهب مطرقا وحزينا ... وحين زفت  
اليه « الصهباء » ، التفت الى أورا ، وأذناه مدلدلتان في ارتخاء .. حتى  
السلطان واغتم ... فدقت نواقيس الخطر في البلاد ... وتحولت الأفراح  
الى أتراح ... حيث نكست الاعلام ، وأعلن الحداد العام ...

★ ★ ★

التفت الى أورا ...

أراك تشأب يا بني ! .. إظفرت عيناك الحكيمة ، وبالي تمويه ...  
النهاية ؟ .. مهلا يا ولدي ، عيناك لم تظفري بغير الحكمة ...  
المباح ...

قلت لي كم مرة : إنكم في المدينة ، اخترعتم أكثر من حيلة ، لتزجية الفراغ .. كالسنا والتلفزة والمذيع .. أليس كذلك ؟ .. لشد ما نختلف عنكم يا ولدي ... كان زماننا حمارا حرونا أعرج ... وزمانكم جوادا طائرا أهوج ... فلا عجب أن تتعبك الحكاية ... أما نحن ... فهي قوام حياتنا ومحورها ... منها يستمد وجودنا معنا ... وفي ثناياها ، يجد كيانتنا مفزاه ... فحياتنا خالية خاوية ... والحكاية تعكس آلامنا وآمالنا ... كما تعكس أحزاننا وأوهامنا ... ولو قدر لهذه الحكايات أن تكتب بالأبر ، على أماق البصر ، لكانت عبرة لمن اعتبر ...

لكن هذه مسألة أخرى ... فإين غفر الله لك توقفنا ؟

آه ! الآن تذكرت ... أجل ! أجل ! لقد أعلن الحداد العام ، في ذلك العام ، بسبب عزوف الحمار عن الطعام ... ولكن حدث أثناء ذلك ، أن عبر التخوم ... رجل من بلاد الروم ... متحديا الأهوال والاضطراب ... آملا في شفاء الحمار ...

فدعاه السلطان إليه ... ولما مثل بين يديه ... زعم شيخ الحكماء ، أنه من سلالة سليمان ... ويفهم لغة الطير والحيوان ... وقد أهدر العمر في التطواف والاسفار ... وذاق مرارة الاغتراب وزكوب الصعاب ... بعد أن جاب كل الاطراف والآفاق ... من طبرستان الى العراق ... حاملا في جرابه توابل الهند ... ومراهم السند ...

امتز السلطان للخبر ... واستبشر بقرب زوال الخطر ... فأمر من حينه بإقامة موكب بهيج ، دعا اليه الامراء والوزراء ... والاعيان ... والوجهاء ... بينما اصطفت العامة على امتداد الشوارع ركبانا ورجلانا ... والنتار يوزع عليهم ميسنا وشمالا ...

وتقدم السلطان الموكب نحو الاصطبل ... يسير الى جانبه الوزير ... ويتوسطهما الكبير ... وحالما اجتاز الشيخ بهو الاصطبل ، حتى كاد يفقد رشده ، وهو يطالع روائع النقوش والزخارف ... وبدائع التحف والمطارف ... وتضاعفت دهشته وهو يعبر ردها الى الاصطبل ، وقد زينت قباها ... وفرشت أرضها ... حتى وقع بصره على الحمار الأصهب ،



فأطرق الشيخ لا ينطق حرفا ٠٠٠ ولا يرفع طرفا ٠٠٠ فسأله السلطان بلهفه  
عن داء الحمار وأمره ٠٠٩ وكيف سيكون الحال ، إن ظل على هذا المنوال ؟ ٠٠٩

فأجاب الحكيم بثقة الحبير ، بسلوك الحمير :

— أعلم يا مولاي أدام الله عزك ، أن الحمير من سلالة الصاهل والشاجع ٠٠  
أى الجياد والبغال ٠٠ وأن هذه السلالة على خشونة قلوبها ، وغليظ اكبادها ٠٠  
لتحن الى عيشها القديم فى بلادها ، كحنين الناس الى أوطانها ٠٠٠ ألا ترى  
أن الطيور تقطع البحر الى مظانها ٠٠؟ وأعلم يا مولاي أبقاك الله ، أن  
الاصهب الميمون ، لن تشفيه من علته بهارات الهند ، ولا مراهم السمند ...  
وأن داءه الحقيقى هو « الفرجة » ٠٠٠ فهو فرجة للآخرين والآخرين  
فرجة له ٠٠٠

وقاطعه السلطان :

— ما العمل يا حكيم الزمان ؟ ٠٠

— أرى يا مولاي ، أن تقام له زوية كزوايا كل الحمير .. وإن يستبدل  
اللجام بشكيمة تمسك بعنانه ، والسرجه ببرذعة ، والبرذعة تشد اليها  
عربة ، والعربة تشحن بالقمح والشعير ٠٠٠ فعسى أن يلفظ الله بمولانا ،  
فينظر ذات يوم الى اصطبله ٠٠٠ فإذا الحمار بسرجه ولجامه ، وهو قائم على  
المعلف ينش بحزامه ٠٠٠

— أجننت يا حكيم ؟ كيف نصنع هذا بالاصهب الكريم ؟ ٠٠

— يا صاحب الجلالة ٠٠٠ لقد شخصت لكم الداء ٠٠٠ ووصفت لكم  
الدواء ٠٠٠ والباقي على الله ، فلکم الاختيار ٠٠٠ وله المشيئة والاقتدار ٠٠٠  
فكر السلطان وقدر ٠٠٠ ثم أصدر الامر الخطير بأعادة « الاصهب » الى  
حظيرة الحمير ٠٠٠

★ ★ ★

ودارت الايام دورتها السرمدية ٠٠٠

وشوهد الحمار المدلل يجوب الازقة والرحاب ... يجر عربة ثقيلة محملة  
بالقمح والشعير ... بينما وقف الناس على جانبي الطريق ، طوابير تهتدي  
بطوابير ... يتزاحمون ويمزحون ... يصفرون ويصفقون ... ومن  
الاصهب المغبون يسخرون ...

فسبحانك اللهم ... يا من خلقت الكائنات بأنواعها ... ووضعتها من  
الدنيا مواضعها ... الرفيع فى مكان ... والوضيع فى مكان ... وبقدرتك  
على الدوام أن تخفض الرفيع ، وترفع الوضيع ... ولك فى كل يوم شأن ...

وجاء المساء بشيرا بالراحة بعد الاعياء ... وجيء للحمار بالعلف  
والماء ... متعبا ... وكان جائعا ... وكان شديد الظما ...

تقدم نحو المelf ليغترف منه ما يشاء ... لكنه ما كاد يهم بالأكل حتى  
نازعته نفسه الى الارتواء ... وما كاد يتحول نحو مشرب الماء ، حتى نازعته  
نفسه من جديد الى المelf ...

وقف الحمار الاصهب بين المelf والمشرب حافرا مترددا ... الجوع يهصر  
أمعاءه ... والعطش يفتت كبده ... فبأيهما يبدأ ...؟ ولم يستطع أن يتخذ  
قرارا ...

\* \* \*

وأقبل السلطان فى الصباح لزيارة حمارة المبجل ... فهاله المشهد حتى  
كاد يغمى عليه ... كان الاصهب ممددا بلا حراك بين المelf والمشرب ...  
كان ميتا ... مشهد غريب أصاب الجميع بالذهول وأخرس السنتهم ...

وغمغم السلطان بعد لاي :

— ماذا حدث أيها الحكيم ؟

وجم الحكيم دون أن يرف له طرف ... أو ينطق بحرف ... وعاد صوت  
السلطان يتردد فى غضب أشد ، وهو ينقل بصره الزائع بين الحمارة  
والحكيم ...

- تكلم أيها المجنون ... ماذا صنعت بالاصهب الميمون ؟ ...
- لا شيء يا مولاي ... لقد مات كما ترى ...
- وما علة موته أيها الأحمق ؟ ...
- الفرجة أبقاك الله ...
- الفرجة ؟ ... أية فرجة يا أبله ...
- أعني الحيرة والتردد يا مولاي ... لقد ظل حائرا بين الجوع والعطش ... أى الرغبتين يلبي أولا ... لكنه لم يستطع أن يتخذ قرارا ...
- أيعقل هذا ؟ ... « هملت » نفسه ، مثال التردد ، اتخذ في النهاية قراره التاريخي ...
- أبقاك الله يا مولاي ... « هملت » لم يكن حمارا ...

ابراهيم الأسود

فبلي في 25 جوان 1987

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## الموت بلا مقابل ...

ذات ليلة كثيبة ظلماء من ليالى الشتاء العاصفة الباردة رحلت أمه الى العالم الآخر تاركة إياه يجابه مصيره وحيدا فى هذه الدنيا مترع القلب حرارة وحسرة وأسى .

بكاهها بكل نبضة فى خافقه ، وكل قطرة دم فى عروقه ، وكل عصب احساس فى جسده لكن من غير دموع .

لقد تركت له برحيلها المفاجئ فراغا مهولا لن يموض أبدا .

كانت له النبراس الذى ينير ظلمة أيامه ويهدي خطاه على درب الحياة . سوف يظل يذكرها دائما ما ظل فيه نفس يتردد ، وما بقيت له ذاكرة تعي .  
قبع ببيتته الصغير الذى صارت تطله الكتابة وتغمره الوحشة حزينا مهموما .

ويهرع اليه الاصدقاء يواسونه ويخففون عنه ، يدعونه الى الزواج ويرغبونه فيه . بماذا تراه يتعلل لهم الآن ؟ ..

لقد ذهبت الانسانية التى كانت تملأ حياته هناء وأمنا واستقرارا وتحيلها الى جنة وادعة واعدة خضراء ، ولن تعود . كان همها الوحيد السهر على راحتها وسعادته ، لم تتركه يشعر فى يوم من الايام بأن شيئا ما ينقصه وينفص عليه عيشه ، كم ترجته أن يتزوج لكنه كان دائما يردا كريما مرددا على سمعها كلمته المعتادة :

— ما حاجتي الى المرأة وأنت معي ، وعلى كل حال ربنا يقدر ما فيه الخير .

فكان برا بها حليما ، لا يعصى لها أمرا ولا يرفض لها طلبا .

ولعل الرغبة الوحيدة التي لم يحققها لها في حياتها هي زواجه ولكن يبدو أن لا مهرب له بعد الآن من الأمر أقدم على هذه الخطوة التي طالما تحاشاها . لم يعد أمامه خيار ، العمر يتقدم به والوحدة تطبق عليه ، ولا دراية له بأعمال البيت . وحتى أن هو حاول ترويض نفسه على تقبل وضعه الجديد فلن يقدر على الاستمرار في ذلك طويلا .

ولكن أين له بالفتاة التي تليق به وترضاه لها زوجا ؟ بالنسبة اليه غير مهم شكلها أو سننها أو وضعها الاجتماعي . المهم أن تكون من أسرة ذات منبت كريم ومعدن طيب .

وأشار عليه بعض أصحابه بفتاة فقيرة يتيمة الأب أفاضوا في ذكر مناقبها وأثنوا على سيرتها ثناء جميلا لطلب يدعا من أمها وشقيقها الأكبر ، رحباً به بحرارة ووعداه برد الجواب خلال بضعة أيام بعد أخذ رأى الفتاة والتشاور مع بعض ذوي القربى .

إنه ليس ثريا لكنه رجل مستور الحال ، له ضيعة صغيرة ويضع رؤوس من الأشياء والأبل تبر عليه دخلا ثابتا محترما . وما يزال في عنفوان رجولته وجميع أهل القرية يجلبونه

<http://Archivebeta.Sakhr.net>

لقد كان له شرف الاشتراك في الثورة التحريرية . إيه كانت أيام .. كان اسمه يتردد على كل لسان . كم روع الأعداء وأقضى مضاجعهم . لم يكن يفتن بملاقاتهم وأفراد مجموعته في الجبل ، بل كثيرا ما كان هو الذي يسعى اليهم، ينصب لهم الكماثن ، ويقطع عليهم الطريق ، وينقض عليهم في هجمات خاطفة مباغتة مقتحما عليهم معاول تحصيناتهم وأماكن تجمعهم ، ناشر بين صفوفهم الموت والرعب وموقعا بهم أفدح الحسائر .

لم يكن يرهب الموت ، وكان الموت يترصده ويتربص به أين ما حل وأقام ، وفي كل خطوة يخطوها .

لم يصب خلال كل المعارك التي خاضها ولو بخدش بسيط في حين استشهد بعض اخوانه وأصيب البعض الآخر اصابات متفاوتة الخطورة رغم أن مكانه كان دائما في طليعة الجميع ولعله من عبث الاقدار أن يكون هدفا لشظية

طائشة فى اليوم الاخير من عمر الثورة ذهبت باحدى عينيه وحدثت تشويها ظاهرا بوجهه فاقام بالمستشفى عدة اسابيع ثم عاد الى بيته ليجد أمه بانتظاره .

ومرت الايام ... وقررت الدولة منحه وثلة من رفاق السلاح وسام الشجاعة . وكان يوما مشهودا لن ينساها كما لن ينسى كلمة الوزير التي توجه بها اليه فى ذلك الحفل الحاشع المهيّب وهو يضع الوسام على صدره :

« إن الأثر الذى تحمله بوجهك لهو أغل وأشرف وسام يمكن أن يحمله مواطن ناضل وضحي من أجل أن يعيش وطنه حرا عزيزا كريما » .

وما هو ذا اليوم يقبع ببيته وحيدا تلفه استار النسيان يتجرع آلامه وأحزانه فى صمت صاخب عاصف ، يهدد النفس النائرة باجتراح ذكرى تلك الايام المجيدة الخالدة .

لقد آن الاوان المذهاب الى أسرة الفتاة ، أسبوع من الآن على زيارته الاولى اليهم . كان فى داخله ينتابه شعور بعدم الاوتياح لذلك تردد كثيرا قبل أن يقرر الذهاب من جديد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وذاذ مساء عزم على اتمام تلك الزيارة ، حمل معه هدية بسيطة ومضى . رحب به شقيق الفتاة ووالدتها كالعادة ، وجلسوا يتحدثون فى مودة ويشربون الشاي .. قالوا له : إنهما وأقارب الأسرة يباركون زواجه من البنية . لكن القرار النهائى يبقى بيدها هى آخر الامر ، وهى لم تقل كلمتها الاخيرة بعد .

وتستأذن الأم التغيّب لحظات ، وتناهت اليه أصدااء أصوات تتردد بالغرفة المجاورة لم يتبينها بوضوح فى البداية لكن ما ان أخذت فى الارتفاع حتى تأكد لديه انها صادرة عن الأم وابنتها . وأصاخ السمع مليا وسمع الأم تقول :

- إنه رجل ميسور الحال .

وترد الفتاة :

– الله يزيد في حاله •

وتقول الام :

– وما يزال في عز قوته •

تقول الفتاة :

– أعرف ذلك •

وتتابع الام قائلة :

– جميع أهل القرية يجلونه ويحترمونه

وتعقب الفتاة :

– وأنا أيضا أجله واحترمه •

وتردد الام في شبه ضراعة :

– ما الذي يجعلك ترفضين الزواج منه اذن ؟

وترد الفتاة في نبرة غاضبة فيها احتجاج وتغمر :

– ألم ترى وجهه؟ كيف أتزوج من رجل على تلك الصورة ؟؟ انه

مشوه مخيف •

تصيح الام :

– لكنه بطل ، لا تنسى انه فقد عينه وهو يقاتل دفاعا عن شرفي وشرفك

وشرف هذا الوطن .

وتقول الفتاة كالمعتذرة :

– إنني أعلم ذلك وأذكره له • ولكن ما ذنبي أنا يا أمام ؟؟ ما ذنبي ؟؟

زواجي منه يعني الموت بلا مقابل •

وينقطع الحوار ، ويخيم الصمت ، وتدوي برأسه أصدااء أصوات القذائف

والانفجارات ولعلمة الرصاص • وتتوالى على مخيلته مشاهد آخر معركة

خاضها مع الاعداء •

وخيل اليه أن الأرض تعيد به ، ورفع يده دون وعي يتجسس وجهه .  
وفجأة نهض شقيق الفتاة واندفع باتجاه الغرفة المجاورة وقد عصفت به رياح  
الغضب . وقام بدوره ، وغادر البيت في سكون يصدره تضطرم نار تستعر،  
وبرأسه وسمعه يصطخب دوي لهيب تخالطه أصدااء. أصوات مزمجرة غاضبة  
وصرخات متظلمة مكبوتة .

وسار متعثر الخطوات ، الحمى تلهب جسده ، جبينه ينضج عرقاً بارداً ،  
في عينه عبرات تتفرق لا تروم الافلات خارجاً ، تعاونت وظلمة الليل في  
حجب الرؤية عنه .

ذاهلاً عن كل ما حوله ، مردداً بينه وبين نفسه في شبه حشرجة :

— حقاً ما ذنبها هي ؟! ..

محمد الحموسي الحناشي

فابس في 21 - 10 - 1985



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



## من أجل إضافة عربية في ميداني القصة والرواية (2)

### 3 - التحدى الروائي العربي :

1 - فهذه الامثلة الاخيرة وغيرها تظهر بوضوح أن هناك علاقة جدلية واضحة بين ما هو خاص وذاتي لحضارة ما ولشعب معين وحتى لمبدع فرد ، وبين ما هو إنساني ، عالمي ، وأن طريق العالمية قد لا يمر **اغلب الاحيان إلا عن طريق التفرد والتميز والاخلاق والتجربة الذاتية** . وأن قولـة Montaigne الكاتب الفرنسي الذي عاش في القرن السادس عشر المسيحي : كل ما هو إنساني غير *Tout ce qui est humain ne n'est pas étranger* غريب عني ، والتي يجب أن تفهم على أساس شعور بالانتماء العريض لكل ما يمس الجنس البشري ، إن هذه القولة تفرض علينا بعدا إنسانيا لا يمكننا التخلص منه إلا ومسحنا وخرجنا من آدميتنا ، وتفرض علينا تفتحنا عالميا حيويا ونبذا للانغلاق على النفس ، ولكن كل هذا لا يعني تنكرا للذات وللخصوصيات ولتراثنا ، ولا يعني عدم الرجوع لذواتنا نستلهمها في عمليات الخلق الروائي والقصصي لان السؤال الاهم يبقى **من أنا ؟** من نحن ؟ وفي هذا السؤال - رغم تحديد مجاله مسبقا - هناك بعد إنساني متداخل مع الذات الخاصة تداخلا عضويا ، يصعب التفريق بين البعدين إلا اذا تعسفنا تعسفا .

2 - وفي بحثنا عن نهضة روائية وقصصية عربية وضمن المسار الحضاري العام لابد من أمرين اثنين :

(أ) عودة لقراءة الذات قراءة نقدية بالاستعانة بكل العلوم الانسانية « العصرية » ( علم نفس - فلسفة - علم اجتماع - السنية - علوم سياسية ... الخ ) .

والوصول بعد ذلك لأصح تصور لذواتنا وتركيبها .

(ب) أما ضمن المسار الأدبي البحث فلا بد لنا من استقراء تراثنا القصصي العربي واستلهامه كمنطلق أساسي صلب لا إمكانية لحلق مدرسة عربية روائية وقصصية بدونه وخارجه . وإلا لكنت محاولتنا سرية ، ضبابية مشكوكا في نسبتها ومشكوكا في جدوى وفي قيمة إضافتها للتراث الانساني .

ومعنى الاستقراء والاستلهام لا يعني ألبتة إعادة نفس الأشكال ، وإلا لفقد الحلق الأدبي والابداع الفني كل مبرر لوجوده ، فنحن أساسا نعيش زمانا غير زمان أجدادنا !!

ولكن مثلما يعلمنا علم الحياة (La Biologie) يمكن لمدرسة عربية روائية أو لرواية عربية بأنهم معنى الكلمة أن تظهر خارج ذلك الموروث ، فمثلما نجد « جينات » وراثية في الخلية الحية الحيوانية والنباتية ونجد « برنامجا » مسبقا محكم التدبير والاتفاق ، فنحن كمرب شئنا أم أبينا - نحمل في دواخلنا ودخل كل خلية فينا مميزات وراثية معينة تتحكم الى حد ما في تصوراتنا وفي نفسياتنا وفي طريقة تأثرنا وفي ردود فعلنا وفي معاملاتنا لبعضنا البعض وللآخرين .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

3 - امهات كتبنا القصصية العربية :

وعنا يجب أن نرجع لكثير من آثارنا وندرسها بأنفسنا - بعد أن اكتشفنا وأبرز لنا قيمتها مستشرقون ، كانت لهم أغراض ونوايا !! .  
وهذه الدراسة استشفاف مميزاتها الإبداعية في ميدان القصة الروائية .

ومن هذه الآثار القيمة نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) الاساطير الشعبية وبالحصوص أساطير الجاهلية ومنها أسطورة :  
أساف ونائلة وأسطورة : الديوان والثريا ... الخ (18) .

(18) انظر سلسلة مقالات عبد الله محمد حسين ( برزت منها 13 حلقة لحد الآن ) تحت عنوان أساطير شعبية أم قصص شعبي ؟ مجلة الشرق السعودية سنتي 1985 و 1986 .

(ب) خرافاتنا الشعبية وخصوصاً خرافات الغولة في تونس (19) .

(ج) قصص القرآن العديدة التي ورد فيها قوله تعالى :

« نحن نقص عليك أحسن القصص » .

(د) **الخبر الادبي** - في الادب العربي ومن ذلك بالخصوص اخبار المغنيين والمغنيات في كتاب : **الاغاني** لأبي الفرج الاصبهاني وأخبار العرب ومعاركهم في أيام العرب (20) والخبر فيه لمحة خاطفة وأحداث وشخصيات - وتلك بعض جوانب القصة - ولكن هناك ، كما لا يخفى - اختلاف هام بين النوعين الادبيين !

(هـ) الرسائل الفلسفية العربية مثل **كلميلة** و**دعنة** لابن المقفع و**رسالة الغفران** للمعري (21) و**رسالة حي بن يقظان** لابن طفيل ، وإن كان الفلسفي الطاغى والواضح في هذه الرسائل وتكن هذا لا يمكن أن ينسبنا جانبها الروائي القصصي .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(19) كتاب **الغولة** للناصر الحمير طبع باريس 1977 François Maspéro ضمن سلسلة Voix 208 صفحات بالفرنسية دون صفحات النص باللغة الدارجة مع رسوم وصور . وكذلك كتابه : **شمس بين حيتيين** في نفس الدار سنة 1982 ( انظر استجواب لناصر الحمير بمجلة **المستقبل** عدد 293 / 2 أكتوبر 1982 ) ص 72 و 73 .  
وانظر مقال : **الغول : الانسان الوحش في الادب الشعبي العربي** بقلم فاروق خورشيد مجلة **الدوحة** فيفري 1981 من ص 62 الى ص 66 .

(20) حاول القصاص التونسي الطيب العشاش في الستينات كتابة احاديث حديثة على نمط الاحاديث العربية القديمة ولكنه لم يواصل محاولاته ..

(21) المعري ( 363 هـ - 449 هـ ) طبع دار المعارف بمصر طبعة 5 تحقيق بنت الشاطئ 1964 - 663 صفحة .

(و) الحكايات ومن ذلك حكايات العيارين والشطارين وكل الطبقات الاجتماعية المهمشة والتي تركت لنا رصيذا قصصيا ثميناً جداً ، فيه الكثير من الحس والذكاء الشعبيين (22) .

ومن ذلك حكاية **أبي القاسم البغدادى** تأليف محمد بن أحمد أبى المظهر الأزدى (23) .

(ز) **ألف ليلة وليلة** فى طبعاتها العديدة وترجماتها الى لغات العالم قاطبة (24) وبالحصوص ترجمتها الاولى الى الفرنسية سنة 1704 من طرف GALLAND .

وهذه القصص العديدة أو هذه الموسوعة القصصية التى تعتبر من التراث العالمى - والتى يحسدنا الكثيرون عنها - أثرت فى الغرب كله منذ ترجمتها الى الآن ، أثرت فى كل الاطفال وفى كل الاجيال وفى كل الادباء والعظام منهم بالحصوص الذين قراوها المرات تلو المرات ، وبقيت مصدر إلهام لا ينضب الى يومنا هذا لموسيقيين ، ولسينمائيين ونذكر من الاولين Rinsky Korsakof الروسى وسنغونيته **شهرزاد**

(22) انظر اطروحة زميلنا الدكتور محمود طروشونة حول هؤلاء الهامشين:  
Les Marginaux dans les récits picaresques arabes et espagnols - avec une préface d'André Miquel Publications de l'Université de Tunis - 1982 - 556 pages.

وكذلك كتابى الدكتور محمد رجب النجار :

- **جحا العربى** ، سلسلة عالم المعرفة الكويت عدد 10 ، سنة 1978 ، 320 صفحة .

- **حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى** ، نفس السلسلة ، عدد 45 ، سبتمبر 1981 ، 464 صفحة .

(23) طبع هيد ليرج ( المانيا ) سنة 1902 وطبعة ثانية بالافوست ، مكتبة المنشى - بغداد - بدون تاريخ ( LXIX و 146 صفحة ) .

(24) انظر بالحصوص طبعاتها الثانية ببولاى ( مصر ) سنة 1279 هجرية فى جزئين وترجمة GALLAND فى جزئين لدى Garmier باريس ، 626 صفحة و 607 صفحات ، وطبعة المكتبة الشعبية - بيروت - 4 اجزاء - بلا تاريخ ، وطبعة بريل بليدن ، تقديم وتحقيق : محسن مهدي 1984 - الجزء الاول - 708 صفحات .

ومن السينمائيين المخرج الايطالى الكبير بازوليني الذى اخرج فيلما بعنوان **الف ليلة وليلة** فى آخر السبعينات منع من العرض فى البلاد العربية لاحتوائه على مشاهد جنسية اعتبرت تمس بالاخلاق . وهذا هو نفس الموقف من احدى الطبقات الاخيرة التى احتجزت أخيرا فى القاهرة واحرقت نسخها وقدم ناسرها الى العدالة .

وتراء **الف ليلة وليلة** كمادة قصصية موضوع ليس فى حاجة لاثبات ، وكذلك قيمة هذا الاثر الخالد رغم أن العرب تجاهلوا كل ذلك طيلة قرون بدعوى بساطة اللغة أو بدعوى أن هذا الفن شعبي ، اذن فهو ذو قيمة متدنية وسوقية . الى أن جاء الغرب فدرس الاثر وأبرزه فبدأنا أخيرا فى مراجعة موقفنا وقد حان الوقت لذلك فعلا (25) .

ونحن نعتبر **الف ليلة وليلة** تماما مثلها مثل تلك الاثار الروائية الغربية التى تشتمل على عشرات الروايات والتى صاغها روائى عبقرى فذ والتى أراد بها تقديم صورة متكاملة لعصره ، واذكر من ذلك آثار هونورى دى بلزاك ( 1850 - 1799 ) *La Comédie Humaine* ( عشرات الروايات ) و *Les Rougon Macquart* عشرات الروايات وأهمها القصة الطبيعية والاجتماعية لعائلة عاشت فى عهد الامبراطورية الفرنسية الثانية ، لصاحبها الروائى الكبير *Emile Zola* ( 1840 - 1902 ) وكذلك *Les Thibault* للكاتب الفرنسى *Roger Martin Du Gard* ( 8 أجزاء ) والحائز على جائزة نوبل للاداب سنة 1937 .

ويمكن أن نضيف **لألف ليلة وليلة** كتاب **مائة ليلة وليلة** المغربى (26) .

---

(25) انظر كذلك طبعة برسلا وسنة 1824 والتى أعادت نشرها تباعا المجاة العراقية : **التراث الشعبى** من سنوات 1980 الى 1982 وما بعدها . وانظر سلسلة دراسات بوعلى ياسين المنشورة ضمن مجلة : **دراسات عربية** سنوات 1981 الى سنة 1984 ، وكذلك دراسات عباس خضر بمجلة **العربى** ( 1982 - 1983 ) ... الخ .

(26) تحقيق ونشر زميلنا محمود طرشونة - طبع أدار العربية للكتاب ، 1979 ، 583 صفحة ، مع مقدمة مهمة .

(ج) قصصنا الجنسي من ذلك كتاب التيفاشي القصصى ( 1184 - 1253م )  
قادمة الجناح فى آداب النكاح . المخطوط فى المكتبة الوطنية بباريس والسدى  
طبعه مترجما المستشرق السورى الاصل René Khawam (27) والذي  
ترجم كذلك كتاب محمد النفزاوى ( 1420 م ) **الروض العاطر** (28) الذى  
طبعته مكتبة المنار بتونس عديد الطبعات الشعبية مع كتاب **الايفساح فى  
علم النكاح** ( 84 صفحة بدون تاريخ ) .

وهذه الكتب وان بلغ عليها الطابع التعليمى التطبيقى فهى لا تخلو من  
قصص مشوقة ومن حبك سردى ممتع .

(ط) كل التراث القصصى المخطوط وهو كثير ، اذكر من ذلك عشرات  
المجاميع القصصية بالمكتبة الوطنية بتونس وكذلك المجاميع الموجودة مخطوطة  
بالمكتبة الوطنية بباريس ، وكل هذا التراث يستلزم دراسة متأنية  
ومستفيضة وعلمية حتى نعرف ما يحتويه وحتى تدرس تقنياته وان كان  
جلها موجودا ضمن ألف ليلة وليلة وهى المرجع الام .

4 - وكل هذه الالوان الادبية القصصية العربية نظر لها بعضهم «بتعالى»  
واحترار وحكم عليها هكذا بجرة قلم بانقدم وبفقدان القيمة وبالاتبدال فى  
حين انها انواع ادبية ذات اشكال فنية ولها شخصيتها الابداعية التى تغطت  
بفضلها القرون والخلود بين الحضارات واللغات ، وقد ارتوى من تلك  
الاصول كتاب آداب كبار معاصرون نذكر منهم : طه حسين فى مصر .  
والطيب صالح من السودان خصوصا فى روايته : **موسم الهجرة للشمال** .  
ومن تونس نذكر محمود المسعدى الذى استوحى اسلوبه ومواضيعه من  
التراث العربى فى اثره **السد والحصوص فى حدث ابو هريرة قال**

---

Ahmad al - TIFACHI : *Les Délices des coeurs* - Edit Phébus (27)  
Paris - 1981 - 365 pages

*La Prairie Parfumée où s'ébattent les plaisirs* - Phébus - (28)  
Paris - 1976 - 286 pages.

وانظر كذلك كتاب : *Le Livre de la Volupté* d'Ahmed Ibn  
Souleiman édition Le Sycomore - Paris - 1979 - 126 pages.

وكتاب عبد الرحمان بن أبى بكر السيوطى ( 1445 - 1505 م ) ترجمة  
رني خوام تحت عنوان :

*Nuits de Noces* - Albin Michel - Paris - 1972 (250 p.)

الذي يظهر فيه مدى تأثير الادب الصوفي العربي (29) واذكر البشير خريف بالخصوص في روايته : **الدخلة في عراجينها** التي يظهر فيها تأثر الكاتب بتأثر قديمة لعل أهمها **الف ليلة وليلة** (30) وكذلك في روايته : **برف الليل** ( طبعة بوسلامة ، تونس ) فأجواؤها هي أجواء **الف ليلة وليلة** .

وهؤلاء جميعا قد استلهموا تراثنا القصصي القديم دون أن يبتغوا أسرى له ، ف**أضافوا** و**أسسوا** ودلوا على احدى الطرق الاصيلية ، متجاوزين الاطار الاصيلي الذي كان منطلقا لهم .

والآن يبرز تسرع بعض نقادنا الذين أجهدوا أنفسهم وحبروا الدراسات وطبعوا الكتب ليثبتوا أن أول رواية هي **زينب لمحمد هيكل** وأن أول قصة تونسية هي ما كتبه حسن حسني عبد الوهاب أوائل القرن العشرين وأن أول رواية تونسية هي : **هيفاء وسراج الليل ؟ أو الساحرة**

(29) سار على هذا المتوال كذلك مصطفى المدايني في روايته : **الرجل از الزمن الدامي** - طبع الدار العربية للكتاب ( ليبيا - تونس ) .

(30) انظر دراستنا المخطوطة التي شاركنا بها في ندوة **الرواية التونسية** التي نظمها **نادي القصة** بتونس ( ماي 1985 ) تحت عنوان : **الرواية التونسية والجدور ، الف ليلة وليلة ، والدخلة في عراجينها للبشير خريف** .

(31) انظر مقالاتنا :

أ - **حول اصول القصة بتونس** . مجلة **قصص** - عدد 60 - أفريل 1983 .

ب - **في بدايات القصة التونسية** : ( مقال لا يزال مخطوطا ، شاركت به في الذكرى العشرين لبعث **نادي القصة** بتونس - ديسمبر 1984 ) .

ج - **حول مقال ادب القصة في تونس** . مجلة **قصص** - عدد 40 - أفريل 1978 .

التونسية ؟ (32) مثامنا ذهب لذلك كل من الاديبين محمد صالح الجابري وعزالدين المدني والباحث الاستاذ فوزى الزمرلي (32) .

لذلك نحن نعتقد أنه قد آن الاوان لمراجعة بعض المفاهيم الخاطئة وإعادة ربط العصلة مع جذورنا وتراثنا ، وكما قلنا فليس معنى هذا أن نسقط في الفولكلور بمعناه السلبي . ونحن نعيد نفس الصياغة فنسقط في التكرار الباهت الميت ولكن أن نساير درجة وعي شعوبنا وبالأخص درجة استساغتها ومدى قدرتها على فهم الاشكال القصصية الجديدة ، وليس معنى هذا أن نمنع التجريب و « نحرمة » بل لا بد أن يتواصل ذلك من طرف بعض المبدعين الذين يلعبون نفس دور العلماء المختصين في المخابر والذين يكونون دائما في مقدمة الامة المجموعة بل وحتى في طليعة المسار البشري عامة . وأما في ميدان الادب القومي الحقيقي المعبر عن روح الجماعة فلا يمكن أن نتصور ذلك الادب في اطار مجموعة محدودة من الرواد وضمن قلة قليلة مبهورة بالغير ولاهئة وراء كل جديد . لذلك لا بد من ضبط اطر عامة للادب القومي ، تسطر المسار وتعطي إشارة الانطلاق وتسدل على الاتجاه العام .

ويمكننا القيام بهذا من الان وبالأخص في ميدان القصة والرواية (33) ودون انتظار قيام وحدة العرب السياسية ، لأن عملنا الادبي قد يكون أحد العوامل المساعدة فيما بعد على انجاز هذه الوحدة السياسية المنشودة .

(32) 3 مقالات نشرت بالحياة الثقافية ( تونس ) أعداد 34 و 36 و 37 و 38 ( 1984 و 1985 ) تحت عنوان : الحركة القصصية في تونس : من النشأة الى الاستقلال .

(33) بخلاف موقفنا من القصة والرواية ، نحن نعتقد أن الاضافة في ميدان الشعر لن تكون الا خارج الثقافية وخارج الاوزان الخليلية الستة عشر ، وهذان الموقفان ليسا متناقضين كما قد يبدو لو توقفنا عند ظاهر الامور ، لان التوقع طيلة قرون داخل اوزان الخليل كان ربما هو السبب الرئيسي وراء عدم تأثير الشعر العربي على غير الشعوب العربية وعلى بعض الشعوب الاسلامية . ولاعتقادنا أيضا أن العرب - والشعر ديوانهم الاول وجنسهم الادبي المميز - قد



ودعوتنا هذه ضرورية في هذا الظرف بالذات ، والعرب تعيش الحروب والتمزق والتذبذب ، ويتربص بها الاعداء شرقا وغربا ، فعندما نعيش هذه المراحل النضالية فان قومنا ، حضاريا في حاجة لارضية صلبة نقف عليها ، وبدون ثوابت ومراجع قوية وتاريخية وبطولية لا يمكن الصمود في زمن القتال . فنحن جميعا في حاجة لنماذج افترضتها الحياة وجربتها (34) .

ونحن في تخطيطنا لمستقبلنا الادبي القومي نعتقد أنه آن الاوان لوضع قواعد عامة تهى هذا المستقبل بعيدا عن الارتجال وعن التجريب العشوائي ، حتى نضع حدا لنهضتنا التي لا تنهض منذ قرنين الان ائمتنا في حاجة الى العمل والنظام والسلم وهى في حاجة في الميدان الادبي والفني كذلك الى الأوضوح وإلى العمل الخلاق المبدع المتأصل بعيدا عن التأثر السطحي وعن الانبهار والتبعية .

جربوا كل المواضيع والاغراض فيه حتى اهتسروا الشكل الكلاسيكي ، فهذه الاوزان ضاقت الآن بعد أن احتوت تجارب قرون ، فيها عديد من قرون الانحطاط والمحافظة !! وكان لا بد من تجاوزها وهذا ما تم في ظروف عديدة لعل أولها الشعر الشعبي ثم الموشح وأخيرا الشعر الحر على يد نازك الملائكة والسياب وقديو طوقان ، ونفس الشيء وقع مرات عديدة للشعر الاوروبى ولعل أهم مرحلة تقع في أواسط القرن التاسع عشر بالنسبة لفرنسا على يد رومانطيقى «صغير» هو Aloysius Bertrand صاحب كتاب *Gaspard de la Nuit* والذي

Charles Baudelaire

انظر مقالنا : ما الجديد في الشعر العربى ؟ ( الحياة الثقافية ) سنة 1977 . والشعر اضافة او لا يكون ( مخطوط ) . ودراستنا عن A. Bertrand التى شاركنا بها فى الذكرى المائوية لوفاة شاعر فرنسا الكبير ، فيكتور هيغو V. Hugo - كلية الآداب - تونس - نوفمبر 1985 .

(34) لعل هذا هو بالضبط ما برز خلال مهرجان الربيع الشعرى الاخير - ورغم حضور تمثال بدر شاكر السياب بقامته المديدة - فان الحاجة الملحة للمحافظة على شكل القصيدة الكلاسيكى ، قد ظهرت وكأنها مطلب جماهيرى ... او هذا ما عبر عنه بعض حضور المهرجان ...

#### 4 - القواعد الضرورية لخلق رواية وقصة عربيتين جديدتين :

I - نعم ، لقد آن الاوان أن نقى أنفسنا من « ممرات الهواء » الكثيرة التى تقف فيها منذ زمان والتى تهب فيها الرياح فى كل اتجاه ، خصوصا بعد بحث عديد المجامع العلمية العربية وبعد بروز أكثر من معجم ، ولا بد لنا من بيان مؤسس (Manifeste) واضح وضوح الشمس يستلهم من منهج وطريقة من سبقنا لذلك من أمثال الامام الغزالي وابن خلدون وديكارت (Descartes) ومدرسة La Pléiade الفرنسية ومنظرها فى القرن السادس عشر Joachim Du Bellay فى بيانه المعنون : Défense et Illustration de la Langue Française

#### 2 - وهذا البيان يحتوى على أربعة أركان :

أ - نبذ التقليد - فى ميدان الرواية والقصة - ونبذ التبعية والانهايار نبذا نهائيا .

ب - استلهم الذات العربية فى بعدها التراثي ، أى دراسة الاشكال والاجتاس الادبية ، دراسة عصرية نقدية ، ( مثل الخبر والاسطورة والرسالة والخرافة والحديث والقصص الشعبي ... الخ ) واستخراج البنية القصصية من كل ذلك وإبراز التقنيات والابعاد الفنية فيها والاستفادة من ذلك دراسة وانتاجا ، وكل هذا لم يقع بعد بصورة جدية .

ج - استلهم الذات العربية فى بعدها الحضارى بمعنى استلهم معطيات ونتائج العلوم الانسانية العصرية التى تدرس الانسان العربى فى محيطه وعمله وعلاقاته وثقافته ( علم اجتماع - علم نفس ، فلسفة ، لسانيات ... ) .

د - استلهم وهضم التجارب الروائية والانسانية قديمها وحديثها « هذا الترتيب للوضوح فقط وهذه الاركان فى الحقيقة متكاملة فى علاقة جدلية بينها » .

#### 5 - خاتمة :

I - عند تطبيق هذه الاركان أو بالاحرى بعد تطبيقها ، يمكننا أن نخلق ادبا قصصيا وروائيا عربيا جديدا يتجاوز ضرورة الاشكال العربية

التراثية المعروفة ، وقد يتجاوز كذلك الاشكال الروائية الانسانية والعالمية المتداولة والاجناس الادبية المحددة المقتنة . وقد يكون هذا الادب جديدا حقا ، فيه اخذ من كل شيء بطرف ، أى فيه من الحوار المسرحي ومن الخبر السريع ومن التعليق الصحافي ومن التحليل النفسي والاجتماعي ومن السرد الروائي ومن النقد الادبي ومن الاستطراد ومن تقنيات السينما .. مما يتماشى ومحيطنا العالمى الحالى وعقلية الانسان المعاصر وظروف عيشه التى تغلف عليها السرعة وقلة الوقت وصعوبة الحياة فى المدينة ...

وفى هذا الشكل الجديد تجاوز لكل الاشكال وتهديم لكم تقنين تضييقى ولكن فيه كذلك غداء واى غداء .

فهذا النوع الادبي الجديد والمنشود ، فيه جانب من التراث وفيه تجاوز لذلك وفيه اخذ من تجارب الانسانية المعاصرة التى ظهرت نتيجة تطور العلوم الانسانية . وهو نوع ادبى شامل ، لا حدود شكلية له تقيد من انطلاقة وراثته ، فيه تتمازج كل الانواع الادبية بل تتكامل من أجل قصة مشوقة ، مستعرة تشبه القارئ وتفيد ، بلا اطالة وبلا ملل تفيدنا حضاريا بأن تعمق وعي القارئ بذاته وبمحيطه وبالأخرين . ونجد فى هذا النوع الإدبى الشامل هيكل وبنية الخرافة الشعبية أو الشعبية . ذلك الهيكل وتلك البنية الازلية والتي أبرز حضورها VLADIMIR PROPP الدارس الروسى (1895 - 1970) فى كتابه القيم Morphologie du conte وقد وضع بروب أن شكل الخرافة الشعبية واحد قديما وحديثا وعند كافة الشعوب رغم تداخل الاحداث ورغم تنوعها الى ما لا نهاية له ، فالهيكل واحد ، والبنية واحدة والحطوط العريضة هي هي ، واحدة .

---

(35) طبع Seuil سلسلة Points باريس عدد 12 - 1973 - 256 صفحة ، وقد استغل هذه النظرية وطبقها على بعض النماذج القصصية العربية زميلاي سمير المرزوقي وجميل شاكر فى كتابيهما : مدخل الى نظرية القصة ، الدار التونسية للنشر وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1985 - 243 صفحة .

2 - ولعل أقرب ما ندعو اليه هو النوع الادبي الجديد الذي يكتبه الكاتب الارجنطيني لويس بورخس والذي يطابق عليه اسم «Fiction» (36) وبورخس ، كما هو معلوم من المتأثرين جدا بالادب العربي وبالف ليلة وليلة بالذات (37) ولعل ما كتبه كذلك الاديب التونسي مصطفى الفارسي في كتابه الاخير **حركات** يدخل ضمن هذا الباب الجديد الذي يلجه الادب !

3 - هذه مقترحات وافكار مطروحة للنقاش ، هدفها البناء وتجاوز للتذبذب والضياع في ميدان فني ادبي مضبوط حتى يضيف العرب اضافات متميزة على الساحة الانسانية فيكونون هم ذاتهم أولا (38) ويكونون معاصرين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني ثانيا .

ويكون ديدان العرب في كل هذا ضرورة **تجاوز الذات وتجاوز المعرفة** مدفوعين بشعور التعالي (transcendence) يسميه بعضهم الايمان بالله وآخرون الايمان بالمصير الافضل والايمان بالمستقبل وبعضهم يسميه **الطموح** وعدم الرضا بالمنزلة التي يصل الانسان اليها ، حتى تبرر حياتنا وحتى نعطي دورا لاعمالنا في الارض وحتى نكون خليفة الله في الارض ، تلك ضرورة حياتية ، وتلك رسالة الانسان وقوته .

## جلول عزونة

تونس

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(37) انظر كتاب :

*Entretiens avec Jorge Luis Borges* Jean de Millaret

طبع Pierre Belfond باريس ، 254 صفحة ، بدون تاريخ .  
وكذلك كتاب :

*Poétique de la pièce de tourton tondoror- Le Seuil - Points*  
Paris 1980 - 192 pages - *Le Romancier et ses personnages :*  
François Maurice Livre de poche n° 897

وكذلك أيضا كتاب :

(38) انظر كتاب د. حسن حنفي : **التراث والتجديد** - مكتبة الجديد -

تونس - 221 صفحة - د. ت. وكتاب طراد الكبيسي : **التراث العربي** - الموسوعة الصغيرة - عدد 12 - 1978 - 96 صفحة .

## حديث حول الصمت

كنا نقطن شقة تقع في عمارة مطلة على شارع رئيسي بالعاصمة . كانت الشقة متسعة سقفوها عالية ونوافذها متعددة . وكنا اذا أردنا التهوية لم يعد في امكاننا التحدث مع بعضنا الا بصوت عال . وكان ذلك يقلق أبي الذي عودنا على الكلام بصوت خافت ، فكنا نهمس عوض أن نتكلم . ربما يعود ذلك الى عمله المصني بالمصنع : اذ كان يراقب سلسلة بأكملها بها أكثر من عشرين عاملا وعدة آلات تشحن وتفرز كامل اليوم .

لم تكن نسأل أبي عن السبب . كان يريد منا أن نتكلم بصوت خافت فكنا كذلك نفعل . ولكن اذا خرجنا من المنزل فنحن نمرى . أخي يجري فوق دراجته وسط الشوارع وبين السيارات ، أنا وأختي نصرخ ونغني فكأن أصواتنا تزداد تضخما كلما خرجنا من دائرة الموسيقى الى يرومها أبي . وكانت ملاحظات المدرسين في المدرسة تحوم حول التشويش الذي نتميز به .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كنا نحب الموسيقى . وكانت لنا آلة بيانو سوداء اللون لماعة وكنا نتبارى في التوقيع على ملابسها البيضاء فلم يتحملها أبي ، الا أنه تركنا نتمرن على قطعة « الرسالة الى اليزا » لبيتهوفن . لانها قصيرة ولانها خفيفة الوقع رقيقة . ولاننا لا نتمرن الا عليها مجنناها ونسيناها ونسينا شوبان وفيغالددي وهایدن وغيرهم وغلق البيانو وأصبح مجرد تحفة تضع عليها أمي مزهرية وصورة لجدي وهو في ريعان الشباب .

كنا ندفع غضب أبي نتصرف الى أشياء أخرى فاخي الأكبر لا ينفك ينظم القصائد كقصائد الحب الجميلة وقصائد أخرى غير جميلة . وكانت أمي تمنع في الخياطة فتؤلف الملابس الجميلة لنا وتراها تتلاعب بالخيط الملونة والكشيتان الغضبي يلعب في إصبعها الاوسط يصعد وينزل في صمت وأمي هائمة لا تشعر بالوقت يمر ، فاذا أشعلنا النور قامت ترتب أدوات الخياطة ثم تذهب لاحضار العشاء . وكانت أختي لا تنفك ترسم فتؤلف لوحات زاهية

تكون عادة صاخبة بها شوارع متعددة وسيارات صاعقة ومضخات الصوت . وكنت أنا ، لا أجد ما أفعل بينهم فأحلم . كنت أحلم بعدة أشياء وأخلق الشخصيات أضعهم في الاطار الذي أعرفه فأحس بهم يضيئون به فيهموني بطلباتهم الملحة . فأقصيهم عني وأنصرف الى شخوص آخرين فكان ذلك يأخذ كل أوقاتي ويتعبني كثيرا . كانت الاحاديث تأتينا من الشارع عندما تفتح النوافذ . وكانت الفصول تدخل اليها كذلك من النوافذ لذلك كنا نشعر بفصل الحريف عندما تنتشر أوراق الشجر على أرض الشرفة وكان ذلك يؤثر على أعصاب أي فما تنفك تنظف وتكنس أرض الشرفة وتدفع بزفرتها وتكره طول العشايا الحريفية بينما نكون نحن بالمدرسة . وكنا نحن في تلك الفترة من السنة نتتبع حلقات الشمس في الشقة فنجلس وسطها نطالع أو نرسم أو نكتب . ويحذر لنا وقت الغروب ونتبع حركات الطيور اصاخبة وهي تدور وسط صفرة السماء .

وكان فصل الشتاء يأتي ، فتغلق النوافذ وعادة ما تشعل أي النور طوال اليوم ويكثر عندها صمتنا وصمت الشقة فلا يهزنا سوى نقر حبات المطر على أواني الصفيح التي تعلقها أي خارج المطبخ .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كانت تلك النقرات المعدلية ارتباطنا الوحيد بأصوات خارجية تعجبنا . أما فصل الربيع فيحتل الشقة بروائح المتعددة وأصوات الاطيار النشيطة وطول أيامه الزاهية وانتشار الناس في الشارع منذ الصباح وكثيرا ما نستمع الى احاديث بعضهم وتعليقهم « الواحد ماذا بيه يشم ريحة النوار وأما اللي كيبي م الصباح لليل وهو يشم في ريحة الحندق » أو « ما نعرفش غلاش الواحد في الربيع آشي يشتهي حاجات » أما اللي كيبي ما ينجم يعمل شيء » أو « أنا ماشية نعدي خمسطاش يوم في السبور دي فار » « صحة ليك » أو « شفت ما اشبو . هبال » كنا نحن نعيش تلك الاحاديث داخل الشقة فأحلم أنا بالشهوات التي لا تتحقق أو بالزهور التي تعطر المدينة وبالشباب الجميل الذي سمعت عنه وأحس بالآلاف الكلمات ترتطم على شفتي وتتسابق الى الخروج ، أحس بها كالنمل يتحرك فوق شفاهي ، فأنهش شفتي بأناملي ولا أتكلم بل أتابع حلما عقيما كالجنيين اذ يموت في الرحم . وترسم אחتي جبلا مكسوة ثلوجا وشباننا يتزحلقون برشاقة ولا يسقط منهم

أحد ، ولا يشبهوننا • وينظم أخي قصائد عن البؤس في الربيع والشمس  
تملا الدنيا •

أما أبي فلا يهزه فصل ، ولا يؤثر فيه آخر فهو دائم الصمت يدخل الشقة  
بهدهو ويجلس قرب النافذة ويتصفح جريدته اليومية •

وفي يوم لا أعرفه - ولكني أتذكره - طلع الفجر علينا بنعي أبي • ارتجت  
الشقة لصيحة أمي الحيوانية ، صيحة لم أسمعها قبل ذلك اليوم • اشتد بنا  
الفرع ولم نصدق والموت يدخل شقتنا لأول مرة وينتزع منا الهدوء • أخذنا  
ننتحب وسالت دموعنا أياما • ثم جفت ، وتفرغ الحزن فينا ، فتراه في ثنايا  
لباسنا الاسود ، وعبر شعرنا الذي لم نعد نصفقه وعلى وجه أمي وكان الرماد  
ذر عليه • توقفنا عن الحركة أياما ثم عدنا الى أعمالنا اليومية تدريجيا • وعدنا  
الى الشقة نتأملها ننفض الغبار عن أثاثها بانتظام • عدنا الى مدارسنا وعادت  
أمي - والفصل خريف - تنظف أرض الشرفة وتطلق الزفرات المتوالية ثم  
تجلس لتخيط لنا الملابس الداكنة ولكن بشيء من اللامبالاة وبدون حزم •

خيم الصمت على الشقة وكانت صورة أبي التي عوضت صورة جدي وهو  
في ريعان الشباب على البيانو <sup>١٩٦١</sup> مبعثا للحزن والانسام <sup>١٩٦١</sup>

ولكن رغم هذا الفراغ ، لم تعد الشقة تسعنا أنا وأختي فكنا نتأخر في  
العودة الى المنزل ، ونقضي الوقت خارجه ، بحثا عن حل للخروج من مأزق  
وضعنا فيه موت أبي • ذلك أن أخي اتخذ مقعد أبي المفضل قرب النافذة  
وكنا كلما دخلنا الشقة عند الغروب وجدناه يتصفح الجرائد ، فيما تجلس  
أمي قريبا منه تخيط الملابس بخيوط داكنة غير جميلة وبإشارة من أخي  
نتبادل الحديث بصوت خافت •

في الاثناء كانت رسوم أختي تطلع باهتة ، وجفت فرشاتها التي كانت  
ترشح ألوانا وتشتت حلمي بين الارصفة والشوارع أين أصبحت أتسكع •  
أما قصائد أخي ، فقد أحرقها كلها ومنذ أن تبخر دخانها الاسود من نافذة  
المطبخ، نسيها ، وكذلك فعلنا •

نافلة ذهب

## أسد في الخربة

زالت الشمس عن السميت ، وعلا صوت المؤذن في الهاجرة معلنا حلول وقت صلاة الظهر ، لكن قلة من الناس غادروا مخادعهم نحو الجامع ، حرارة أوائل أوت مختقة تكاد تفرق القرية في هم لا آخر له .

ملا ناس القرية بطونهم بكثير من الكسكسي ، البعض اقتدر القرع لا غير مع بصيلات قليلات لتزين الكسكسي بين حبات قلقل متناثرة ، والبعض اقتدر سميكات سردينية تضفي نكهة محببة في الكسكسي . أما أعيان القرية ووجهاؤها فقد ملأوا البطون بكسكسي عليه قطع لحم ضأن سمينة ، وإذا كان طعم الكسكسي قد اختلف من واحد إلى آخر فإن الذي جمعههم هو أنهم كلهم يغطون في نوم عميق ، يستعدون قيلولة الصيف .

<http://Archwebeta.Sakhril.com>

حتى الاطفال استلقوا هنا وهناك ينعمون مثل الكبار بنوم القيلولة ، طفل فقط أبي النوم أن يداعب أجفانه ، هم كبير يرزح على قلبه الصغير ، لقد شغله أمر تلك الخربة . . . صار خبيرا بجزيئات بابها المتأكسل المتهرى ، بفعل الأمطار وحرارة الشمس وصفعات حبات الرمال التي تعبت بها الرياح على تعاقب الفصول والسنين . كم حاول أن يعرف لون الباب بالضبط ؟ لكن الباب لا لون له ، لقد ضاع لونه كما ضاعت أشياء كثيرة كانت تميز القرية عن غيرها من القرى . تسلل الطفل قلبه يخفق خوف أن يفتن له أبوه ، فتنهال عصاه الغليظة على جسده الغض دون تمييز المكان الذي ستقع عليه العصا . إيه كم تلوى تحت وقع العصا وفي أحيان كثيرة لا يدري السبب ، وكلها الح في السؤال عن السبب الح أبوه في الضرب . لكن خيال العصا لم يشنه عن عزمه ، لقد أصر هذه المرة . وكان أصراره عنيفا . تسلل الطفل يعبت بالقليل دون أحداث جلبة . ووجد نفسه في الشارع المقفل الابواب كلها مغلقة ، ووراء الابواب كل الناس يغطون في نوم عميق .



وقف الطفل أمام الباب المتهدىء المتآكل ، هم بلمسه ولكن يده ارتجفت ، وعدل عن لمس الباب . حتى حجارة الجدار الكلسية قد تأكلت وصارت فيها تضاريس متعددة . الزمن يأكل كل شيء ، وكل شيء يتهدىء بمرور الزمن ، رمال الدنيا كلها نتيجة تأكل الجبال بمفعول الزمن .

وماذا تراه يوجد وراء هذا الباب ؟ سؤال طالما عشتش في مخيلة الطفل الصغير ، ولكن لا أحد من الكبار أشبع فضوله وأخبره عن جواب سؤاله . تذكر أن أمه ارتجفت وهو يسألها ، أشاحت بوجهها عنه ، وانصرفت تطوي الثياب ، لكنه جذبها من فستانها قائلاً :

— أخبريني ماذا يوجد فى الحربة ..

الحربة نحس على القرية ، قتل فيها ثلاثة أشخاص ، كلهم ذبحوا من الوريد الى الوريد ، والقضايا الثلاث حفظت ، لأن الجاني لم يعثر عليه .. لم يتجرأ أحد ممن ملك الحربة على تعمييرها خوفاً من النحس الذى لازمها ، ثم يفاخر أحد فأقدم على شرائها لنفس السبب ، لذلك بقيت مهجورة .. حين كانت الام ترتجف لتخيل منظر الدم المتجمد فى كل مرة على رقبة القتيل جذبها ابنها من فستانها وأعاد عليها السؤال :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— أخبريني ماذا يوجد فى الحربة ..

قالت دون أن تلتفت اليه :

— ماذا يوجد فيها ؟ اسد .. أجل ! اسد كبير ! .. أنيابه حادة .. ومخالبه طويلة .. يلتهم الرجال فى طرفه عين .

اسد ! فى الحربة اسد ! أصبح الاسد موضوع أحلام الطفل فى يقظته ومنامه .. صارت كل أمانيه أن يقتل الاسد فى الحربة ليقتل الخوف الذى عشتش فى أعماقه .. حرام أن تبقى الحربة مهجورة بسبب اسد يخافه الكبار والصغار ..

صارت حكاية الاسد فى مخيلة العديد من الاطفال .. كان يتباهى أمام أصدقائه وهو ينقل اليهم الخبر .. يتباهى كأنه يمتاز عليهم بمعرفة شيء لم

يتمكنوا هم من معرفته .. صدق الصغار حكاية الاسد ، وتندر بها الكبار ثم أصبحوا يتصورون انها حقيقة . صار في قناعة الكبار أن الحربة يسكنها أسد يجب أن يخافه الكبير والصغير . ثم صار في قناعتهم أن الحربة ملك للاسد . وأخيرا اقتنعوا أن الاسد يمتلك القرية كلها بأناسها وأنعامها وأرزاقها . صار الاسد قدر القرية ، وصار أهل القرية أسرى لهذا الاسد وعبيدا له .

عندما كانت الشمس تلهب الأرض الجافة بنارها وعندما كان ناس القرية يغطون في نوم عميق كان الطفل الصغير واقفا ثابتا أمام باب الحربة يدبر خطة لمواجهة الاسد ، هل يكسر الباب ويفتح الحربة ؟ لكن ! كيف ؟ إن ذلك سيسبب كثيرا لأهل القرية ، لعل الاسد يجد ثغرة ينفذ منها فيعيث فسادا في القرية ، يمزق لحم أهلها ويسيل دماءهم ، ويعيث بالصغير والكبير ، بل ربما يستيقظ أبوه حين يسمع أصوات التكسير ، فتنهال عليه العصا دون أن ينال مبتغاه . أن تنهال عليه العصا بعد مضارعة الاسد فهذا أمر يهون ، أما أن تنهال عليه العصا قبل ذلك فتلك خسارتان . حاول أن يبحث في الباب عن ثقب ، ولكن الشقوق في الباب لم تكن تسمح له برؤية شيء ، لقد كانت الشقوق كتجاعيد شيخ أشمط ، كيف السبيل إلى النفاذ من هذا الباب المتآكل ؟ وخطرت بباله فكرة ، لماذا لا يأتي بالسلم ؟ ذلك يسبب له مشكلا مع عصا أبيه ، السلم طويل وهو صغير ، عملية اخراج السلم من المنزل لا يمكن أن تمر بسلام ، وتسمر الطفل يتأمل عمود الكهرباء المنتصب كأنه يراه لأول مرة ، كيف لم تخطر بباله هذه الفكرة ، العمود ليس من الاسمنت المسلح ولا هو من الخشب ، عمود سلكي على هيئة السلم بالضبط ، وهو أكثر أمانا ، بإمكانه رؤية الاسد يتبختر في الحربة ، وبإمكانه أخذ القرار النهائي عند رؤية الاسد ، إن رآه طيبا من قسمات وجهه ونظرات عينيه ربما نزل اليه فربث على شعره الناعم ، وامتنطاه كما يمتطي الفارس جواده وقام بجولة في أرجاء الحربة .. لكن ! من يضمن له أن الاسد لا يرتمي عليه وهو ما زال متشبها بعمود الكهرباء ؟ كيف يمكن أن يقع ذلك ؟ لقد أخبرهم المعلم أن طبيعة الاسد تشبه طبيعة الكلب ، كلاهما لا يقفز ولا يشب ولا يتسلق الأعالي ، وطبيعة النمر تشبه طبيعة القط كلاهما يتسلق الأعالي ويقفز ويشب ، تلك فرصة ستسمح له باغاطة الاسد ، سوف يخرج له لسانه ، سوف يعيره بأقبح النعوت سوف يقول له :

- ان كنت حقا أسدا فاقفز هذا الجدار لتفترسني ..

سوف يكون الاسد عاجزا عن انجاز ذلك الفعل ، سينظر اليه الاسد شزرا ، سوف يفتح فاه ليرعيه بأنياه الحادة الطويلة ، لكن الطفل أصر أنه سوف يخرج له لسانه وسيعيره بالعجز والجبن ، حقا انها لعبة مسلية .. قرر الطفل ألا ينزل الى الاسد ، سوف يكتفي باغاطته فقط ، وسوف يكرر اللعبة كلما سنحت له الفرصة بذلك .. جرى الطفل يتسلق العمود بخفة ونشاط ، وقبل أن يطل على الحربة تسارعت دقات قلبه وتصيب العرق غزيرا ليكسو كامل جسده ، هم الطفل بالنزول .. يخيل اليه فقط أنه يقدر على اخراج لسانه للاسد كي يعيره ويحق من شأنه ، أمن السهل أن يفعل ذلك في الواقع ؟ انه أسد ! حتى وان كانت طبيعته لا تسمح له بالقفز لاجتياز الجدار والوصول اليه ، فانه اذا استشاط غيظه سوف يتقلب على طبيعته تلك ، وربما نجح في الوصول اليه ، بل ربما ارتقى على الجدار المتاكل أيضا فهدمه ، وربما ارتقى على عمود الكهرباء فاستقله .. تسارعت دقات قلب الطفل الصغير أكثر ، وهو يتخيل نفسه بين أنياب الاسد ، سوف لن يلتهمه دفعة واحدة ، ولن يقتله بضربة الاولى ، ألم يخرج له لسانه ؟ ألم يعيره بالجبن ؟ سوف يتلهى به الاسد ، ويتلهى بتعذيبه ، سوف يقتله في اليوم ألف قتلة دون أن يقتله فعلا ، فطبع هذا الاسد أنه يستعذب عذاب الآخرين ، ويستعذب الجروح التي يتركها للآخرين ، ويستعذب منظر الدماء وهي تنسرف من تلك الجروح .. انه أسد فطيع .. فطيع .. فطيع .. هكذا تصور الطفل ، وهم بالقفز على الارض والرجوع جريا الى منزله والارتواء في احضان أبيه ، يطلب منه الصفع عن الجرم الذي اقترفه ، وأى جرم أكبر من محاولة اجتياز جدار الحربة والنظر الى الاسد الذي يمتلكها .. لكن شيئا في نفسه ألح عليه في مواصلة المغامرة .. ووجد نفسه يطل دفعة واحدة على فضاء الحربة ، لكنه لم يستطع أن يصدق نفسه ، أصبح ما رآه عيناه ؟ .. الحربة خلا ، لا شيء فيها .. كيف يكون ذلك ؟ .. أ تكون الحربة خلا ؟ أين الاسد إذن ؟ ولم يستطع تصديق ما رآه عيناه .. لا بد من التثبت أكثر .. أمعن النظر في أرجاء الحربة .. اعشاب جافة كالهشيم هنا وهناك .. حجارة متناثرة أحجامها مختلفة .. وفي ذلك الركن جرار كبيرة .. بعضها سليم والآخر مهشم ، وهناك برميل وفي الجانب الآخر نصف برميل قد غلامها الصدا .. لا بد أن يكون الاسد مختفيا في بعض الاماكن الخفية .. صوت

الطفل بصوت ارتفع تدريجيا ، لكن الاسد لم يبرز خاف الطفل أن يطول تأمله فيكتشف أمره أحد الجيران ويراه متشبها بعمود الكهرباء .. فينقل الخبر الى الأب وتستعمل العصا .. استولت على الطفل رغبة جامحة في النزول الى الحربة ، ودون طويل تفكير وثب فوق الجدار ومنه وثب في الحربة .. تسمر الطفل وهو يتخيل الاسد سوف يرتمي عليه في هذه اللحظة ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث . ندم الطفل على تهوره ، لا أحد يعلم بمكانه هذه الساعة ، اذا حدث وأمسكه الاسد والتهمه فسوف لن يعرف أحد من أهل القرية خبره ، صاح صوت في أعماق الطفل :

« .. عن أي أسد تتحدث ؟ اما زلت تصدق هذه الحكاية ؟ »

كيف لا يكون في الحربة أسد والجميع صفارا وكبارا يعتقدون ذلك .. سار الطفل .. يبحث في أرجاء الحربة عن أثر الاسد ، ربما يكون قد مات دون أن يتفطن أحد الى ذلك ما داموا لا يتجرؤون على اقتحام باب الحربة .. لابد من البحث الطويل حتى يخرج بدليل يثبت به لأهل القرية أن الاسد قد مات ، سار الطفل يبحث هنا وهناك .. عثرت عينه على حبات فول متناثرة بعضها على الأرض وبعضها ما زال عالقا بالنبتة الجافة السوداء ، وانحنى الطفل يلتقط الحبات ويتلهمها بأكملها .. ثم بعد لحظات ألقى بها في يده وواصل البحث عن الاسد ، لكن ! .. لم يكن في الحربة اثر للاسد ..

عندما علا صوت المؤذن معلنا حلول وقت صلاة العصر انحنى الطفل على جثة ننتة يتأملها .. لكنها كانت جثة فار تنن .

**عبد الوهاب النفقيه رمضان**

تونس في منتصف الليل ما بين

31 أكتوبر و 1 نوفمبر 1987

## إنها غلطة ...

كان منتصبا بقامته العملاقة في آخر القسم ، نظراته موزعة تترصد تحركات تلاميذه المتكبين على أوراقهم ، المنهمكين في تحرير امتحاناتهم ، القاعة مشدودة بجبال من صمت ، ينساب حبرا مكتوبا على الاوراق ... ودخل القيم وسلمه ظرفا مغلقا . حملته خطاه الى مكتبه ... فض غلاف الظرف في حركة عصبية .. وجد فيه استدعاء من شرطة الهي .. رسم عليه بحروف حمراء مطبوعة « أكيد جدا » .

تثبت في الحروف مرات ومرات ، منذ لحظة كانت أفكاره مستسلمة للسببات . وما هي ورقة صغيرة تجعلها تهب فزعة هبوب الاعاصير ، انتفض خياله يبحث عن سر الدعوة واربع قلبه وهتف في داخله « هل ينادي القيم ليراقب تلاميذه ؟ وينطلق هو الى مركز الشرطة لمعرفة سر الاستدعاء » .

تريث قليلا ... مشى خطوات ثم خطرت له فكرة أن يأخذ ورقة ويكتب عليها : سيدي الناظر هل ذكر لك مسلم الاستدعاء شيئا عن موضوع الدعوة ؟ ... ونادى أحد تلاميذه وأوصاه بأن يسلمها الناظر ويترقب منه الاجابة .

ذهب التلميذ وعاد قائلا : إني وجدت مكتب الناظر مقفلا .

ورجع الاستاذ الى ذاكرته يتوسل اليها أن تنجده من هذه الحيرة فأجابته : « لعلك دست أحد المارة وأنت سائر ليلا ؟ » ورأى سيارته تحمل بقايا دماء وجلد بشري ملتصقة بأحد فوانيسها تشهد شعراتها بجريمة قتيعة .

وقالت له ذاكرته : « لعلك نسيت بعض الاوراق في مكان ما » .

ودمعت عيناه حين رأى أحد أبنائه ممددا على نقالة الاموات متروكا في ممر أحد المستشفيات وبجانبه ورقة مكتوب عليها : « مجهول الهوية » وأعرض خياله عن هذا المشهد الأليم قائلا له : فتش في دفتر أعدائك لعل واحدا منهم وشى بك كذبا . راح يقلب صفحات الزمان صفحة صفحة دون أن يبرز له عدو بالمعنى الصحيح . . . له علاقة فاترة مع بعض الناس لكن لا يوصل هذا الى الوشاية . عمري أشرف على الخمسين ولم أسجل يوما مشادة مع أى كان .

نظر الى ساعته . ما زال يفصله عن موعد الخروج أربعون دقيقة بأكملها . . .  
تظاهر بالهدوء وانتزع الطمأنينة انتزاعا مرما بها ما تدعى من أفكاره .  
.. لماذا كل هذا الخوف ؟ هل ارتكبت جريمة حتى أخاف ؟

ما أضعف الانسان حين يصنع عذابه بيديه .

تسلى بمطالعة بعض السطور من كتاب بين يديه . . . بدت له الحروف خطوطا مبهمه لا معنى لها ، وتراقصت في قوطني فلم يدرى شيئا . . .  
أطل عليه الاستدعاء في هيئة أخطبوط يمد أصابعه ويحركها في بشاعة ، وانتصب على الطاولة يشاغبه ويعفر وجهه وعينيه بمادة ملوثة كالحرير . قبض على الورقة ووادها في الظرف ثم فتح النافذة واستنشق من هواء الخارج وعب منه كثيرا . . . لاحظ أحد تلاميذه وجوهه فحدق بعينه اليه لكنه أشاح بوجهه ملتفتا الى الناحية الأخرى . صارت اللحظات سلسلة من العذابات واحترق خياله وغمرته الأشجان أحس في داخله بشعور من الشفقة على نفسه ، نفسه ترثي نفسه .

★ ★ ★

اندفع الى مكتب الشرطى . كان الشرطى مشغولا بقرن تقرير . . .  
سأله بلهفة عن سبب الدعوة . . . أمسك الشرطى عن الإجابة وواصل عمله في حزم وانهماك .

سأل رئيس المركز الجالس في الجهة الامامية في اضطراب فهدأ من روعه قائلا :

- اجلس واحداً قبل كل شيء . ربما ينهي العون التسجيل فيأتي اليك .
- هناك تسجيل ! ماذا فعلت ؟ هل الامر خطير ؟
- لا ليس بالخطير . مشكلة صغيرة . لا تنزعج .
- لا أعرف أني تسببت في شيء . طول حياتي رجل حذر .
- قلت لك : اصبر يا أخي حتى يحين دورك .
- جلس على كرسي مفكك الافكار والقوى وأخذ يتسلى بمراقبة الشرطي المنهمك في الرقن ثم غرق في غيبوبة أفاقته منها جلبة بعض المدعوين .
- تململ ثم خاطب رئيس المركز :
- هل جاء دوري ؟ لقد عذبنى الانتظار .
- إنها مشكلة عويصة سيهتم بها العون أولاً ثم ياتيكم ...
- تنفس عندها الصعداء واعتدى الى صفر مشكلته وضالة حجمها لكن عذابه يزداد كلما أصر الرئيس على كتمان الجواب .
- نظر الى رئيس المركز متوسلاً اليه بنظراته أن يحبه ويخلصه من جحيمة .
- فاوماً اليه بأن يتبعه الى مكتب مجاور ... دخل وجلس على بنك خشبي مستطيل يقابله شباك صغير مغلق بقضبان حديدية .
- قال له رئيس المركز :
- الامر يتعلق بصك بدون رصيد .
- صك بدون رصيد ؟ أنا .. لا أتذكر !!
- صك سلمته لشركة المياه .. تذكر . وقيمته خمسة وعشرون دينارا يعود تاريخه الى زمن يزيد على أربعة أعوام .
- أنا لا أتذكر يا سيدي ولا أتعامل بالصكوك ، أجررتي تنفق كلها بالدنانير ، الصكوك عملة الاثرياء .
- وخرج رئيس المركز وعاد مصحوباً بفتاة أجلسها على البنك المقابل وانصرف .

لاحظ الأستاذ أن الفتاة تنظر الى الشباك ذي القضبان الحديدية وتقوم بحركات مبهمّة . تعجب من أمرها وقال في نفسه : « ما أغرب هذا العالم ! آية زلة رمت بي الى هذه الاصقاع ؟ »

لاحظ بعدما وجها يطل من ذلك الشباك الصغير وشاهد الفتاة تخرج تنهيدات في غياب رئيس المركز وتحدث مع صاحبها المسجون بالغمز والحركات . بقي الأستاذ جامدا أمام هذه التمثيلية الصامتة ونسي حاله وتأسى بها يشاهده من الفتاة وصاحبها مجتهدا في قراءة المعاني التي تعبر من تلك النافذة .

لم يلبث رئيس المركز طويلا خارج هذه القاعة إذ سرعان ما عاد ومعه بعض الاوراق ، فاطرقت الفتاة رأسها واختفى وجه السجين المثل من تلك الغرفة الدامسة . فتح الرئيس ملفا فتش فيه عن بعض الاوراق وقال :

— أنت محمد بن صالح بن علي ؟

— لا يا سيدي : أنا علي بن صالح بن محمد .

سكت الرئيس لحظة ثم تنبّهت من هوية الاستاذ مقلبا بطاقة تعريفه ثم طلب منه العفو مصافحا له بحرارة ومضييفا :

— العفو إنها غلطة !!

**ريم العيسوي**



## ممارسة الصعب ... التحدي

كانت القصة وما تزال الميدان الذي تسجل فيه مختلف الأحداث الواقعية غالبا بأسلوب فني متميز وبلغة مكثفة ومنتقاة حسب الحاجة للتعبير عن المشاغل المحسوسة خاصة من خلال مزاج الكاتب والحالات التي ينفثها كرد فعل فاضح أو مقوم أو أي موقف يتخذه في شأنها .. وهي في ذات اللحظة المجال الأكثر استيعابا لثقافة الكاتب ورصيده اللغوي ومستوى قدراته على التحليل والاستنتاج من خلال الرصد الدقيق للحركات الخارجية بعد أن تكون قد انعكست على الدفق الحسي الداخلي وامتزجت أو تفاعلت معه .

بعض القصص تكتظ بأكثر من حكمة وميدان معرفي وتكون خلاصة لثقافة الكاتب في الموضوع الذي تتناوله .. ولكن يبدو أن هذا النوع من القصص الوعظي والتعليمي يفقد الكثير من قيمته الفنية .. مجال الإبداع يعتمد أساسا على طريقة التبليغ أكثر من الموضوع المبلغ به عادة .

عن مؤسسة الأخلاء صدرت مجموعة قصصية بعنوان « الصعب » للكاتبة شريفة عرابوي . وهذه المجموعة تتركب من خمس قصص طويلة نسبيا حيث شغلت مع الإهداء 96 صفحة من الحجم الصغير الذي تميزت به أخيرا منشورات الأخلاء . وهذه القصص الخمس جاءت تحت العناوين التالية : رحلة - صراع - الصعب - لا إعدام إلا الجوع - بين الباب والخلق - البرزوخ من شرقة الخوف .

تقول الكاتبة في الإهداء خاصة :

إلى كل من يكسر صخور الصعب ويتكسر عليها أحيانا شعبا كان أو فردا من أجل غاية .. غاية تكون في النفس هي الأمل .. هي السعادة .. بل هي الحياة .. كل الحياة ..

تقول أيضا : إلى كل من يحطم أحيانا من أجل هدف .. هدف يأكل العمر .. كل العمر .. وعندما يملكه صاحبه ولو في لحظة الأخيرة يحس أنه عاش ذلك العمل كله .. في لحظة امتلاكه له يولد .. في لحظة يعيش .. في لحظة يسعد .. في لحظة كل شقاء ابتلع أيامه .. كل تناسة نخرت مباحج حياته .

وتختتم هذا الإهداء بقولها :

إلى كل صلب إرادى مقاوم ثائر أهدي مجموعتي القصصية .. هذه المتواضعة .. المنيشقة من الصعب ، ص 12 .

فى هذه القصص تلتقي التجربة الشخصية بالوان من مستويات العيش.. اذ تستحضر الكاتبة عبر الذاكرة أحداثا وحوادث تنسج منها سدى مواضعها وكل قصة لها ، إنما هي خواطر حول صعوبة الحياة والإرادة التي تقهر تلك الصعوبة وتحولها رغم القسوة إلى رغبة محببة يسعى لها الانسان .. والكاتبة أبدعت فى تصوير هذه الحالات الحياتية الصعبة . وكانت عميقة فى تعاملها مع النفس المحطمة خاصة .. تقول : أطلت عيون الشقاء من ثقب الباب الهرم .. من شقوق السقف القصديري .. من الركن العجوز .. من الجدار المتداعى .. من كل مكان فى الكوخ نطل .. نزرع الفزع فى مفاصل أجساد منكشمة الخ ... ص 75 .

والكاتبة إلى جانب نجاحها النسبي فى تعميق الصورة أو الحالة امتلكت نوعا من اللغة المناسبة لمحتويات قصصها فكانت تضع الحالة فى الإطار الطبيعى لها من جهة المفردات اللغوية والتركيب السليم غالبا وهى تمزج قصصها بوقائع أدبية وتستحضر لذلك أشعارا وأمثالا تناسب كلا من تلك المواقف .

الكاتبة إذن حاولت استغلال تقنيات القصة القصيرة إلى جانب تقنيات القصة الطويلة أو الرواية حيث أدخلت عنصر الحوار فى مواقع زاد القصة جمالا وأبعادا عميقة من خلال الإيحاء .. وكذلك غلبت الحركة والانتقال من مشهد الى مشهد فى سكونية متحركة أيضا على كل قصصها .. واختلط الذهنى بالواقعي والخيال بالحقيقة التى هى محور كل قصصها فى هذه المجموعة

ولتحقيق ذلك أو ربما لبإلغ شيء من الحقيقة تلجأ حتى للإصاليب العلمية أحيانا . اسمعها تتحدث بالصفحة 79 : الطفل علميا في أى شكل كان .. فى أى لون كان .. فى أى تركيب .. هو عملية نمو وبناء، يحتاج كل جزء منه إلى الدعم الغذائى حتى يكتمل بناؤه .. لكن الطفل اجتماعيا .. طبقيا .. جغرافيا .. ينشطر الى قسمين .. محظوظ ويائس .. أطفال سعداء وأطفال بائسين .. العدالة تنق بها الطبول فى كل مؤتمر .. فى سنة الطفل .. فى يوم التغذية .. الخ ...

فللكتابة هموم مختلفة لكنها مشاغل الحياة .. تلك التى أفسدت عليها طمأنينتها فراحت تحببها وتصوغها قصصا تهديها إلى كل عينين مؤكدة على ان الحياة جزآن وأن المصير درجتان ، وأن الضدين موجودان حيثما حل الانسان .. وهى التى ، شغلت فكرها كثيرا ، شغلت قلمها لرسم هذه المسافات المتداخلة فى الوجود البشرى . وفى خضم الحياة ومتطلباتها يتوزع جهد المفكر .. الاديب بين ممارسة الواجب الحياتى وبين رسم أو تسجيل أهم نقط تعاسة الكون : أعود من جديد إلى مشاكل قلبي والكلمة .. لكنني مرهقة لا أستطيع .. وأن أجهت فى التفكير - أن أثم إلا رائحة أعصابي تحترق .. أحس بصداع يمزق شراييني وراسي وتتصاعد ضربات قلبي فتهدمني نحو الانهيار .. أو ينقطع إصراري أخيرا إلى حياة الغسل ، وأستسلم .. ولكن عندما أسترجع شيئا من عافيتي أعود إلى قلبي والكلمة لأسرق الوقت من بيثني وأكتب .. أسرقه من نومي وأكتب .. الخ ص 96 .

وهى تؤكد حقيقة المعاناة التى يعيشها الكاتب والاديب كي يقدم للآخرين لحظات من واقعهم الموبوء للتأمل فيها وللمحاولة التخلص من شراك الزمن الفاضل باتجاه الحياة المثمرة .

شريفه عرباوى إذن تنحت من صخور الحياة الصعبة تماثيل السعادة للانسان الشقي الذى ربما يستفيد فيتحول شقاؤه إلى سعادة . وإنها لتجربة فى ممارسة التحدي .. فهل ستكون التجربة عملا قابلا للاستمرار ؟ والتطور ؟

### إحيلة الصولي

## ليلة عيد الميلاد

كانت السيارة تنطلق كالسهم والاضواء تهرب امامها يمينا وشمالا وهي تتسلق مرتفعا من الطريق . ثم انعرجت فجأة الى المنار : حي عصرى تمتد فيه العمارات الشاهقة اعناقها نحو السماء تنشر على مضربة تطل على المدينة كأنها اعشاش للنور . وسمع للعجلات صريرا فى الليل الساكن وهو يضغط على الفرامل .

نزل من السيارة متدثرا فى معطفه الكشمير الاسود فتح الباب الآخر نزلت امرأة شابة فى معطف من القرو الابيض .

كانت السماء ملبدة بالغيوم والريح تهدد الاشجار فى عنف .

سار بخطى مترنحة وسيجارتته بين شفتيه والمرأة يجانبيه فى لباس السهرة لا ينطقان بكلمة .  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فتح باب الشقة ، ألقى بفقاذه على المنضدة ، ثم تحلل من معطفه وألقاه على الارىكة، ووقف وراء زجاج النافذة العريضة يطل على المدينة.. هناك البحيرة ، وهناك افريكا والكنيسة والميناء الذى تناثرت السفن على صفحاته وصومعة جامع الزيتون تعانق السماء ، والانوار تتلألأ فى كل مكان فى شوارع المدينة .

وقفت خلفه ربتت على ظهره فى حب وطوقته بذراعيها .

– لقد شربت كثيرا الليلة ! تعال الى سريرك يا حبيبى .

لم يجيبها ظلت عيناه تلاحقان شوارع المدينة يلامسها بأهدابه يقبلها . أحس بالدموع تملأ عينيه ، ألقى سيجارتته على الارض ، داسها بجذائه ، أخرج علبة السجائر من جيبه . . . أخذ سيجارة أخرى . انبعثت النار من الولاة . جذب نفسا عميقا ، نفثه بقوة فاصطدم بالزجاج وعاد اليه لينتشر حوله فى الحجرة الواسعة .

أعادت نجوى طلبها فى استرحام :

- فراس يجب أن تستريح قليلا .. إنها الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

التفت اليها وقال فى صوت قد أثر فيه الوسكى فبدا ثقيلا متلعثما :  
- سأنام طويلا يا نجوى ... سأنام نوما عميقا مديدا . اذهبي الى فراشك لا تترقبيني أرجوك .

قالت وهى ما زالت تطوقه بذراعيها من خلف :

- هل أعد لك قهوة ؟

- لا بل ايتيني بكأس من الوسكى .

- لا .. لا يا فراس لقد شربت كثيرا هذه الليلة .. شربت ما فيه الكفاية .

- إنها ليلة عيد الميلاد ميلاد المسيح !! يجب أن نشرب ونشرب ... إنها ليلة قد نرى مثلها بعد سنة وقد لا نرى .  
<http://Archive.sakr.net>

- لست على طبيعتك ، ليلة رأس السنة هذه ، فليست أول ليلة تسهر فيها ولن تكون آخر ليلة . طيلة السهرة ظللت تشرب وتشرب فى صمت دون أن تشاركنا فى ضحكنا ومرحنا .

- لقد ضحككت كثيرا وقد آن لى أن ابتسم أو أصمت اما الضحك فقد ولى زمانه .

- إنك تخيفنى بأفكارك ! ماذا هناك يا فراس ؟ .. أرجوك لا تعذبني ... هل فعلت شيئا أساء اليك ... هناك مشكلة ما تخفيها عني . أنا زوجتك وأم طفليك إن لم تخفف عن نفسك وتحدثني عن مشاكلك فلمن ستبوح بعذاباتك .

دخل قاعة المحاضرات بالجامعة بحث بعينيه عن لطيفة حتى وجدها ، فاتجه نحوها .. جلس قربها يستمع الى أستاذ القانون المدنى ... كهل فى الخمسين

اشتغل وزيرا فترة ما ثم عاد الى منبر الجامعة وهو مؤهل للوزارة مرة أخرى ولكنه يتنعم .

انهى الاستاذ محاضراته . حمل محفظته وخرج . خرج الطلبة ... تعلقت به لطيفة وهي تعاتبه :

– لقد تركتنا يا فراس نترقبك البارحة حتى الحادية عشرة ثم تفرقنا .

كان يسير بجانبها ضاحكا بشوشا وهو يقول :

– لقد حدث ما لم يكن بالحسيان بينما كنت متجها الى حيث تواعدنا اذ التفتت فجأة بصديق قديم والاصول تقضى ان اجلس معه قليلا ولكن سرقنا الزمن .

– دعك من هذه الحكايات بل قل صديقة قديمة .

– صدقيني إنه صديق قديم .

قالت نجوى .

– هذه القهوة . وهذا كأس الوسكي . وانت مخير بينهما ولكن يجب ان تخفف من آلامك يجب أن تقص علي

اخذ كأس الوسكي وهو يقول :

– لا خيار لنا ... ستعلمين بالامر يوم ما .

نظرت الى معطفه الكشمير الاسود ومعطفها الفرو الابيض على الارىكة وقالت في نفسها :

– انهما التقيضان هل بلغنا نقطة التمزق ، نقطة سلوخ الليل من النهار ؟ ثم خاطبته :

– لماذا اكون آخر من اعلم .

ابتلع جرعة من كأس الوسكي . التفت اليها :

– لن تكوني آخر من يعلم ولن تكوني كذلك اول من يعلم .

أدبر عنها وأطل على المدينة بقامته المديدة يلامس المدينة يقبلها باهدايه  
وانبعثت زخات من المطر على صفحة بلور النافذة كأنها دموع تنهمر في صمت.

أحس بالدم اللزج ينضج من دماغه ويكسو جسده حتى أصابعه ومهما  
السنوات الأربعون تلف جسمه بفشاء شفاف كلعطة انبلاج الفجر في  
الصحراء .

— لماذا تخفي عني أسرارك .

— السر هو الذي لن يفشى . أما ما أخفيه عنك فيسمى حديث  
الناس .

وقالت وهي متعلقة بذراعه وبقامته المديدة :

— الا يكفي نزار وزهور لاكون موطن سورك ولاكون أول من يعلم لا آخرهم.

الحياة شريط أبيض وأسود يمر أمام ناظريه من قبضته يتشبث بالهواء  
ولكن لا شيء فالعدم مائل امامه بجسمه السمين الهرمى .

أوقف السيارة الفيات البيضاء الصغيرة غير بعيد عن المبنى ونزل .  
شارع طويل تجمعت فيه مومسات من جميع أطراف العالم في حجرات  
صغيرات كأنه سوق شعبي لبيع بضائع مختلفة متنوعة . . سار ثملا  
بينظلوله الدجيين وحذائه ذى الكعب العالي وجمازته من الادم في لون الليل .  
كان الشارع طويلا وكان ثملا مترنجا . وكانت الليلة قارصة البرد يطأ الارض  
بأقدام مجنحة رغم سكره . وفجأة سد عليه الطريق صنعوا كان اثنان . وبحركة  
كاراتي ازاحهما عن طريقه وطرح كليهما أرضا وواصل طريقه بين الرجال  
العطاش الى الازدة العفنة كما يعطش البعض الى المياه الاسنة . وسمع صوتا  
يناديه :

— فراس . . . فراس تعال كمنهبر .

كان الوجه الاصغر ضحوكا . عيناه خطان مستقيمان وفم فتحته صغيرة  
في وجه مستدير كرغيف الفقراء اما الانف فصغير هزيل ونحيف يشك المرء  
في قدرته على التقاط الروائح .

دلف الى الحجرة الصغيرة أوصدت الباب خلفه وهي تقول بلغة انجليزية  
تطفي عليها اللكنة الفيتنامية :

- فراس لماذا أنت عنيف الى هذا الحد ؟

قال ضاحكا :

- لاني ثمرة العنف .

وضعت يدها الصغيرة على قمه وهي تقول :

- أرجوك لا تذكر ذلك ، لا تذكر العنف ... فانا احدي ضحايا .

قال ضاحكا وهو يعبت بأصابع يدها الصغيرة كدمية :

- العنف نوعان مشروع وهو الذي قمت به وغير مشروع وهو الذي  
يستبيح حرية الغير .

قالت تغير مجرى الحديث :

- إن عندي شاي أصيلا من شنفاي وبيرة قونسية ايها تفضل

اختطف قبلة من شفتيها الضامرتين ثم قال <http://Ar:et>

- لنشرب بيرة .

قالت مداعبة :

- إنك سكير ابن امرأة سكيره تحب البيرة .

قال ضاحكا :

- قد يكون كلامك صحيحا وقد لا يكون ... لاني لم أعرفها منذ ستة عشر  
سنة أي مذكنت في سن الرابعة .

سمع صوت نباح كلب صغير مدلل يتعلق بساقه وهو يطلق نباحه في  
صوت واهن ، انحنى رفع الكاب الذي لا يتجاوز حجمه النصف ذراع ،  
لعق الكلب كفه ، داعب أذنيه بأصابعه وعاد يجول ببصره في المدينة  
من عل وقد اخذت الرياح تهدهد النوافذ في عنف .



قالت نجوى مداعبة :

- الكلب أقرب إليك مني .

قال في حدة :

- دعى عنك هذا الهراء يا أم نزار فليس أقرب إلي منك الا الله .

ضحكت وهي ملتصقة به :

- وهكذا أصبحت متصوفا تعرف القرب من الله .

قال :

- لقد فرضت عليك أن لا تنجبي أكثر من طفلين في غضون ستة سنوات.. ولدا وبنتا ... الآن أدركت خطئي أو كنت أعام المجهول ... ولتركتك تنجبين ما تستطيعين انجابيه كالارنب ... اما الآن فقد فات الاوان .

قالت باسمه وهي تطبع قبلة على خده :

- لم يفت شيء بعد فاني حامل في شهرى الثانى .

التفت اليها أمسكها برفق :

- لقد أخفيت عني ذلك .

قالت ضاحكة وهي متعلقة بعنقه :

- انها هدية عيد الميلاد ... انها السنة السادسة لزوجنا .

ملا عينيه من وجهها الذى يشوبه شيء من الطول وقد انسدل شعر كستانى على جانبيه وقد برز عظم وجنتيها تكسوه حمرة خفيفة .

مد ذراعه فالتفت بذراعيها فوق النهر حيث تنساب الحياة هادئة نحو البحار العميقة بحار العدم .

قال في صوت ثمل يتعته السكر وارتعشت نبراته في انفعال :

- يا لها من هدية ستظل خالدة على مر الايام .

كانت قاعة الاستقبال تخرج بالمدعوين تقدم خطوات ونجوى الى جانبه وقال وهو يمد يده :

- فراس عبد الله الوزير المفوض بتونس .

رحب به السفير وقبل يد نجوى ودخل القاعة الفسيحة فى نزل شيراتون  
المطلّة على النيل احاطت به الابصار بينما كانت الايدى ماسكة بكؤوس  
الوسكى والشبانيا . أحنى رأسه محييا لبعض رجال السلك الدبلوماسى  
ومد يده لأيدى أخرى يشد عليها كان الرمح والشرع . وكانت هى حالة من  
جمال عربى ، يشع من عينيها النجلاوين سحر يأسر الالباب . وكان هو  
بشبابه وقامته محط أنظار نساء السلك الدبلوماسى .

قالت :

- إنها مفاجأة لم تكن لك فى الحسبان .

طبع قبلة على خدها وهو يقول :

- ما أروعها ... إنه الحنين ففيه يمتزج الماضى بالمستقبل .

قالت باسمه :

- الحياة كلها هكذا نعم إلهي تتمازج فيه ذبذبات الماضى بالحاضر .

- وهذا النغم يا حبيبتي يتمازج فيه الماضى بالحاضر ولكن المستقبل قد

يجد سدا أمامه .

وقف وهو فى هندام دكتور العلوم السياسية وتقدم خطوات لينال جائزته

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

من يدى رئيس الجمهورية .

تقدمت فتاة وضعت حزمة من الكتب أمام رئيس الجمهورية .. انحنى على  
الرئيس يقبله ثم حمل حزمة الكتب . كانت نجوى بين جموع الطلبة والطالبات  
وهتفت الاكف فى حدة .. لأول مرة تمنى أن تكون أمه بين الحاضرين وأن  
تكون ضمن المصنفات . فجأة عندما كان يحمل الكتب تقدمت منه امرأة فى  
أواسط العمر وقالت :

- هل تحب أن أعينك ؟

لقد عرفها إنها أمه احتضنته بكامل ذراعيها وازداد التصفيق حدة ..  
وعند نهاية المدرج وجد نجوى تمد له ذراعيها تحتضنه تضمه الى صدرها  
كالأم الحنون ... إنه العرس .. والتف الرفاق رفاق الجامعة يهنؤونه .

نظر الى نجوى ! انها ما زالت الى جانبه . ضمها الى صدره وأطل على المدينة  
من بلور النافذة العريض .

أحس بنزيف داخلي رتيب يسمع لقطراته الدموية وقع له صدى إسلا  
الليل الصامت ويفطي المدينة بسحابة ذرية .. أحس بالم حاد يتصاعد  
شيئا فشيئا في دماغه ... إنه الفناء انه لعدم . أمسك رأسه بكلتا يديه  
وترنح . أمسكت بجسمه حولته نحو الاريكة ... ابتعدته عن المدينة . مد  
قبضته يتشبث بالهواء ولكن لا شيء فالعدم مائل بجسمه الهرمي السميكة .  
انشبت أصابعها في جسمه القوي تمنعه من الانزلاق ارتخت قواها تحت  
وقعه واحتضنته بحنان الام الثكلي وسقطا معا على الاريكة . سجع تشيجا  
متلاحقا كهدير الموج وتكسرها على شاطئ مهجور .

استعاد قواه شيئا فشيئا . استقام في مجلسه قال لزوجته :

- أين الاطفال .

- إنهم ينامون .

أخرجت من الظرف ورقة قراتها علا وجهها شحوب كشحوب الاموات ألق  
أخرجت من الظرف ورقة قراتها وجهها شحوب كشحوب الاموات ألق  
الرسالة على الأرض وصرخت في شبه جنون :  
- لن نستسلم سنوف نقاوم ونقاوم حتى نتصبر .  
أخذ يدها بين يديه وهو يقول :

- إنها المقاومة التي لا طائل من ورائها إنه الورم الحبيث في الدماغ وهو  
يكبر ويكبر شيئا فشيئا .

قالت في صوت متحشرج :

- لا لا لن نستسلم .

وضعت رأسها على كفه وسالت دموعها في هون ترتعش في صمت .

سالت دمة متناقلة على خده ، استقام واقفا يدارى آلامه . اتجه الى  
حجرة طفليه . طبع قبلة على جبين كل منهما .

جلس على الاريكة قرب زوجته وهو يقول :

- سأسافر بعد بضعة أيام الى باريس لاجراء عملية جراحية ... أما  
النتيجة فمجهولة .

- سأصحبك الى آخر الدنيا والى آخر لحظة فى حياتى .
- اتجه الى زجاجة الوسكى سكب شيئا منها فى كأس التفت اليها وهو يردد :
- إن الزمان الذى ما زال يضحكنا .
- انتفضت من مكانها تشبثت به وهى تقول :
- لا تتم لا تتم أرجوك سوف يظل دوما يضحكنا .
- أحس بالدوار يعاوده وبالم يلقى فى دماغه فسقطت الكأس من يده ..
- تراجع الى خلف وسقط على الارىكة بين المعطفين الاسود والابيض .
- انطلقت من حنجرتها صرخة مكتومة :
- فراس لن تموت ... لن تموت .
- تراجع عنه الام شيئا فشيئا وهى ممسكة بيده حائية عند قدميه ابتسم اليها وهو يقول :
- <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- إنى لم أمت لا داعي الى هذا البكاء .
- نهض من مكانه يطل على المدينة الحاملة الساكنة فى بحر الاهواء وراء النافذة العريضة التى غسل زجاجها مطر غزير .

محسن بن ضياف

## دراسة تحليلية لرواية « رجال في الشمس » (\*) لغسان كنفاني

### شخصيات الرواية :

تحكي لنا « رجال في الشمس » قصة ثلاثة رجال من الفلسطينيين يمثلون ثلاثة أجيال مختلفة معاصرين ، وهم يرومون الهرب الى الكويت ولا مفر لهم من قطع الصحراء التي لن تفرط فيهم فيموتوا قبل مغادرتها .

الوسيلة الوحيدة التي يستعملونها للهرب خزان شاحنة يسوقها رجل فلسطيني هو الآخر يكنى بابي الخيزران والذي يعتبر شخصية محورية تتمحور حولها أهم أحداث الرواية وبقيّة الشخصيات يلتقي الرجال الأربعة وهم تبعاً لظهورهم حسب فصول الرواية :

### I - أبو قيس :

رجل يضرب بجذوره العميقة في الأرض وهو أبداً يسمع خفقان باطن الأرض وضربات قلبها المتعب « تطوف في ذرات الرمل مرتجة » (I) وعلاقته بالأرض قديمة وحميمة تدل على جذوره الغلاحية ومنبته الطبقي الذي تأتي منه .

فقد أبو قيس شجيرات العشر والبيت والقرية ، أدرك بعدها أن لا بقاء له في القرية .

---

(\*) غسان كنفاني : رجال في الشمس . سلسلة أعمال غسان كنفاني 3 .  
مؤسسة الأبحاث العربية ببيروت . الطبعة الثانية 1980 .  
(I) رجال في الشمس ، ص II .

يعزم أبو قيس على السفر بالرغم من عدم ارتياح زوجته وخوفها من العواقب غير المأمونة لمثل هذا القرار إلا أنه يتقبل الأمر ويحمل « سنيه كلها على كتفيه » (2) ويرحل عبر الصحراء الى الكويت للبحث عن لقمة العيش .

2 - أسعد :

رجل في مقتبل العمر ما زال في عز قوته يمتلك تجربة الى حد بعيد ، يروم الهرب هو أيضا الى بلاد الكويت بحثا عن المال والمستقبل . اضطر أن يستدين من عمه الذي يرغب في تزويجه ابنته « المسكينة ندى » .

ويعطيه عمه خمسين دينارا وهو يدرك أن الكثيرين ذهبوا الى الكويت « ثم عادوا دون أن يحضروا قرشا » (3) .

ولكن رغبته في أن يبدأ ابن أخيه وأن يكون بوسعه تزويج ابنته هو الذي يدفعه الى مساعدته بهذا المقدار .

ورغم شعور أسعد بالهانة وبالرغم من عدم ارتياحه لزواجه من ابنة عمه إلا أنه يقبل الأمر على مضض وليس له فيه خيار .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

3 - مروان : وهو أصغر هؤلاء سنا . هو شاب ابن عشرة سنوات لا يملك في جيبه الا سبعة دنانير كان يحس بها أنه غني .

مروان تربطه بأمه علاقة حميمة دفعته أن يهرب الى الكويت ليعوض لها ما كانت فقدته .

طلق والده أمه من أجل أن يتزوج امرأة شوهاء وهو أب لاربعة أطفال . ينقم مروان على والده إلا أنه يحاول أن يقف على الأسباب التي دفعته لارتكاب مثل هذا الفعل والتي تعود حسب رأيه الى عجز الأب عن إطعام ستة من الافواه المفتوحة بعد أن انقطعت أخبار زكريا الاخ الأكبر الذي كان يرسل حوالى مئتي روبية من الكويت في كل شهر . أما الآن فقد أصبح الأب معدما ولا طموح له سوى « أن يترك بيت الطين الذي يسكنه في المخيم ليسكن تحت

(2) رجال في الشمس ، ص 15

(3) رجال في الشمس ، ص 29

سقف من اسمنت » (4) • ويجد الأب مبتغاه عند صديق قديم فيزوجه ابنته التي تمتلك بيتا يتكون من ثلاث غرف تحصلت عليه عن طريق منظمة خيرية •

- 4 - أبو الحيزران :

أبو الحيزران رجل « مضطر الى الذهاب الى الكويت » بحكم عمله وهو يريد أن يرتزق •

هذه الشخصية كما سبق أن ذكرنا تعتبر الشخصية المحورية في الرواية • وبالرغم من ذلك فالكاتب لم يخصص لها فصلا منفردا بل جعلها تبرز من خلال الاطراف الاخرى. وأول لقاء لنا مع أبي الحيزران كان بلقائه فلما يشبه الصدفة مع مروان •

أبو الحيزران له ملامح واضحة ودقيقة كما أراد لها الكاتب أن تكون ، فهو رجل طويل جدا ونحيل جدا يوحى منظره فعلا بالحيزران • ولكن عنقه وكفيه تعطي الشعور بالقوة والمتانة وكان يبدو لسبب ما أنه بوسعه أن يقوس نفسه فيضع رأسه بين قدميه دون أن يسبب ذلك أى إزعاج لصوده الفقري أو بقية عظامه • (5)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويعرف عن أبي الحيزران أنه من أحسن سائقي السيارات الكبيرة ، تمكن مرة من قيادة مصفحة عتيقة استولى عليها رجال القرية اثر هجوم يهودي مما أثار إعجاب الجميع ، فأضافت له هذه التجربة في عالم المحركات تجربة أخرى تفيد « حين انضم الى سائقي سيارات الحاج رضا في الكويت » (6) • الحاج رضا فخور بأبي الحيزران خاصة بعد الحادثة التي تعرض لها وصحبه أثناء عودتهم في إحدى المرات من رحلة صيد اذ غاصت السيارات الكبيرة والصغيرة في الطريق « البيضاء الصلدة » الحادة ، وذلك باستثناء شاحنة الماء الجبارة التي كان يسوقها أبو الحيزران والتي عادت رحمة للحاج رضا بعد أن انتشلته من هول الحر والشمس في ذاك القفار .

---

(4) رجال في الشمس ، ص 40 •

(5) رجال في الشمس ، ص 38 •

(6) رجال في الشمس ، ص 52 •

## تفاصيل الاحداث وعالم الرواية :

فى دكان الرجل السمين :

تلتقى هذه الشخصيات جميعها فى البصرة وكأنه كتب عليها ان تلتقى .

تلتقى هذه الشخصيات جميعها فى البصرة وكأنه كتب عليها أن تلتقى .  
حانوت « الرجل السمين الذى يعمل فى تهريب الناس من البصرة الى الكويت » (7) .

المشهد الاول :

فى هذا المشهد يقف أبو قيس أمام هذا الرجل « حاملا على كتفيه كل الذل وكل الرجاء اللذين يستطيع رجل عجوز أن يحملهما » (8) .

ويعرف أبو قيس من خلال هذا اللقاء أن الرحلة صعبة وأنها ستكونه  
خمس عشرة دينارا هى كل ما يملك .

لقد قطع آلاف الأميال ليصل . وها هو يراهن على خمسة دنانير والرجل  
يتشدد ولا يريد أن ينزل عن الخمسة عشرة قيد أنملة ، وتمتلى عيناه  
بالدموع ويحس بغصة فى حلقه يستدير على إثرها وينطلق الى الشارع .

المشهد الثانى :

تطالعنا فيه صورة أسعد وهو يتحاور مع هذا الرجل السمين نفسه ولا  
يتعلق الحوار بالمقدار المالى المزمع دفعه ولكن بكيفية الدفع .

« خمسة عشر دينارا سأدفعها لك ... لا بأس ! ولكن بعد أن أصل  
وليس قبل ذلك قط » (9) .

أما لماذا فذلك خوفا من الدليل الذى بإمكانه أن يهرب وهم فى منتصف  
الطريق .

---

(7) رجال فى الشمس ، ص 23 .

(8) رجال فى الشمس ، ص 21 .

(9) رجال فى الشمس ، ص 23 .



طبعاً هذا الرجل لا تعجبه هذه الشروط المسبقة فيتوجه الى أسعد بقوله :  
« أعني أنه إذا لم تعجبك شروطنا فيوسعك أن تستدير وتخطو ثلاث خطوات ، وستجد نفسك في الطريق » (10) .

ويغادر أسعد الدكان بعد أن تم الاتفاق على أن لا تسلم النقود الا حالما تجهز الرحلة تماماً .

### المشهد الثالث :

في نفس الحانوت وأمام الرجل السمين نفسه تظالعا صورة مروان وهو يغادر المحل ليجد نفسه في رحمة الشارع بعد أن انقطعت في الدكان « خيوط الامل التي شددت لسنوات طويلة ، كل شيء في داخله » (11) . عندما نحس بالحبشة التي تعرض لها مروان أمام الرجل السمين ، فهذا الأخير قد استهان به وكان عنيفاً في كلامه معه .

يحتد النقاش بين مروان والرجل السمين ، ويهدد مروان صاحبه بأن يفضحه عند الشرطة باعتباره رجلاً حرامياً . الا أن إجابة الرجل السمين جاءت قاسية وعنيفة وغير منتظرة : « كانت اصغمة قوية أفقدته توازنه ، غادر على اثرها الدكان وهو » يعض ذله وعلامات الاصابع فوق خده اليسر تلتهب » (12) .

هذا المكان كان فاصلة الربط بين هذه الاطراف الثلاثة ، أملت عليهم حماية الاشياء أن يلتقوا من دون سابق معرفة ، اذ وجدت بينهم مشاكل المصير والهدف ، التقوا لانه من المفروض عليهم أن يلتقوا فالتجأوا جميعاً الى أقرب نقطة من خلالها يمكن أن يتعارفوا عبر رجل التهريب هذا . تلك هي حماية اللقاء بالنسبة للأجيال الفلسطينية الهاربة ، والتي كتب عليها أن تلاقي نفس المصير ، الا أن خيوط الامل قد انقطعت في هذا المكان . ويطرح

(10) رجال في الشمس ، ص 23

(11) رجال في الشمس ، ص 34

(12) رجال في الشمس ، ص 36

كنفاني القضية من هذه الرواية بحدة ليخلق لهؤلاء الثلاثة فرصة جديدة لا تقل مهانة عن الاولى هذه الفرصة اللقاء مع ابي الخيزران .

### اللقاء مع ابي الخيزران او « الصفة » :

كما سبق ان رأينا ، كان اللقاء الاول بين ابي الخيزران ومروان صدفة او فيما يشبه الصدفة ، تلتقي بعده الاطراف الاربعة في موعد محدد على « رصيف الشارع الموازي للشط » . بعد التعارف يبتدىء الحديث فيما يتعلق بأمر الرحلة المزمع القيام بها . وتصر الجماعة ( أبو قيس وأسعد ومروان ) على معرفة التفاصيل وطريقة التهريب والوصول الى الكويت . ويتمسك أبو الخيزران بالوصول الى اتفاق مسبق قبل الخوض في التفاصيل . يفوض أسعد ليتكلم بلسان الجماعة . فالجماعة تريد ان ترتزق وأبو الخيزران كذلك .

ويطالب أسعد بتحديد المبلغ المالي المحدد بشرط ان لا تسلم النقود الا عند الوصول . وبعد الاخذ والرد يعلم الجماعة ان عملية التهريب سوف تتم في خزان ماء خزان سيارة ابي الخيزران في طريق عودته الى الكويت ، والسيارة مرخصة لاجتياز الحدود وهي ليست ملكا لأبي الخيزران باعتبار أنه رجل فقير ولكنه هو سائقها . أما صاحب السيارة فهو « رجل ثري معروف » يدعى الحاج رضا ولهذا السبب فهي « لا تقف كثيرا على الحدود ، ولا تتعرض لتفتيش ، فصاحب السيارة معروف ومحترم ، والسيارة نفسها معروفة ومحترمة ، وسائق السيارة تبعا لذلك ، معروف ومحترم » (13) .

من هنا نفهم ان اللعبة خطيرة وفيها مغامرة ومجازفة فكيف يمكن لهؤلاء الثلاثة أن يصمدوا في خزان لم ير الماء من مدة في مثل وهج هذه الصحراء . الا أن أبا الخيزران سرعان ما يطمئن الخواطر بأنهم لن ينزلوا الخزان الا « قبل نقطة الحدود في صفوان بخمسين مترا » (14) . وأن العملية لن تتطلب أكثر من خمس دقائق ، وبعد نقطة الحدود بخمسين متر سيصعدون الى فوق . وستكرر هذه العملية مرة ثانية « في المطلاع على حدود الكويت » خمس دقائق

(13) رجال في الشمس ، ص 51 .

(14) رجال في الشمس ، ص 54 .

اخرى ، يجنون أنفسهم بعدها فى الكويت . وبالرغم من المعلومات غير  
الضافية وغير الدقيقة فى بعض وجوها ، وبعد الاخذ والرد يتم القرار  
بالموافقة على السفر . وتنفرد الجماعة على أمل اللقاء فى صبيحة اليوم القادم  
أمام الفندق .

### الرحلة :

تتم الرحلة اذن فوق ظهر الشاحنة عبر الصحراء . فكانت طويلة ومضنية  
وشاقة « والشمس تصب جحيما بلا هواة فوق الرؤوس التى يلفحها  
الحر » ، ويشبه أبو الحيزران هذه المسافة التى تعد مائة وخمسين كيلومترا  
بـ « السراط الذى وعد الله خلقه أن يسيروا عليه قبل أن يجرى توزيعهم  
بين الجنة والنار » (15) ، كما شبه رجال الحدود بالملائكة .

عبر هذه الرحلة وعبر الحوار الباطني نتعرف أكثر على هذه الشخصيات  
التي تفوح كل واحدة منها عميقا عميقا فى أفكارها وذكرياتها .

وتتم عملية تجاوز نقطة الحدود الاولى بسلام . ثم ذلك بسرعة وفى أقل  
من لمح البصر ، انطلق على أثرها أبو الحيزران الى الطريق من جديد .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وتتواصل الرحلة وتكرر اللعبة من جديد فتنزل الجماعة ثانية الى قاع  
الحزان ، ويمر أبو الحيزران بسرعة الى مكاتب رجال الحدود ، و « فور أن  
فتح الباب ودخل أحس نتيجة النظرات التى انصبت عليه من قبل الموظفين  
أن شيئا ما سوف يحدث » (16) .

وفعلا صدق حدس أبي الحيزران اذ أمسك موظفو الحدود لسابق معرفتهم  
بأبي الحيزران عن التوقيع فى الاوراق لداعبته فى مزاح ثقيل ، أراد أحد  
الاعوان ( أبو باقر ) من خلاله معرفة قصة أبي الحيزران مع الراقصة كوكب  
التي يعشقها والتي يقضي عندها أوقاته فى البصرة .

(15) رجال فى الشمس ، ص 59 .

(16) رجال فى الشمس ، ص 81 .

ويحس أبو الحيزران بالاختناق وتتم العملية في سباق مع الزمن . ويفادر أبو الحيزران ويحس أبو الحيزران لا شيء في رأسه « سوى الرعب ويخيل اليه أنه على وشك أن يقع فوق مقوده مغيبا عليه » (17) .

وما إن أوقف السيارة وتسبّق الى سطح الحزان ولمعت عقارب الساعة على زنده حتى أدرك أن الامر قد انقضى . فتح فوّة الحزان متشنجا وهو في حالة رعب ونادى ولكن لم يصل مسمعه الى الصدى .

وينسل أبو الحيزران الى داخل الحزان فيكتشف أن الاجسام الثلاثة قد تصلبت وسرعان ما تتلبسه هذه الارواح من الداخل .

يوصل أبو الحيزران طريقه في الصحراء الى حين هبوط الليل فيلقى بالاجساد الثلاثة على رأس الطريق قرب مكان قذر للنفايات ليتخلص منها ، بعد أن يسلب ما في جيوبها من نقود وينتزع ساعة مروان من معصمه .

تنتهي فصول هذه الرواية ويفادر أبو الحيزران المكان ، ولكن ما أن بلغ سيارته حتى انفجرت في رأسه فكرة لم يستطع كبحها فانزلقت على لسانه :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« لماذا لم يدقوا جدران الحزان ؟ » (18) . وفجأة بدأت الصحراء تردد الصدى ، صدى هذا السؤال : لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

تلك هي فصول الرواية التي عمل غسان كنفاني على تسجيها فأخرجها في أسلوب بليغ وواضح لا يخلو من ابداع فني ومن احياء شعري .

تميزت بنية روايته بالتقنيات الفنية التالية :

- الحوار .

- التداعي الحر والحوار الباطني .

- السرد والوصف .

(17) رجال في الشمس ، ص 87 .

(18) رجال في الشمس ، ص 93 .

## الاشكال الفنية في الرواية :

١ - الحوار :

الحوار هو هذا الخطاب الشفوي - وإن جاء في الرواية بشكله المستقل المكتوب - الذي يتطلب طرفين متقابلين أو أكثر . وهذان الطرفان هما الباث والمتقبل ، وحتى تتحقق عملية الاتصال كاملة لابد من توفر مجموعة من الشروط .

يحتل الحوار حيزا هاما في روايتنا هذه فهو يساعد :

... أولا : على معرفة أبعاد وأعماق نفسية الشخصيات المختلفة وميولاتها كما يساعد على استجلاء آرائها وحقيقة مواقفها . هذا اضافة الى كيفية تعاملها مع الاشياء والآخرين .

يصرح أبو الحيزران في مجرى حديثه الى أسعد رفيق الطريق :

« أقول لك الحقيقة ؟ إنني أريد مزيدا من النقود ... مزيدا من النقود ... مزيدا من النقود ... » ولقد اكتشفت أنه من الصعب تجميع ثروة عن طريق التهذيب .. أتري هذا المخلوق الحثير الذي هو أنا ؟ إنني أمتلك بعض المال .. وبعد عامين سأترك كل شيء واستقر .. أريد أن أستريح .. أتمدد .. أستلقي في الظل وأفكر أولا أفكر .. لا أريد أن أتحرك قط .. لقد تعبت في حياتي بشكل أكثر من كاف ! إيه والله ، أكثر من كاف .. » (19) .

من خلال نص الخطاب هذا يمكننا أن نقف على بعض الجوانب الهامة في شخصية أبي الحيزران ، وبناء عليه يمكننا أن نستنتج ما يلي :

١ - أن أبا الحيزران خص أسعد بهذا الحديث وكأنه يتوجه اليه بسر لا يعلمه غيره .

٢ - أن أبا الحيزران يتكالب على المال ، وهذا التشبث به قد يجعله لا يعير أية قيمة لأي شيء ما عدا قيمة النقود ، وأن غايته من ذلك هو تجميع ثروة .

---

(19) رجال في الشمس ، ص 65 .

3 - أن أبا الحيزران يمتلك مالا ، وأغلب الظن أنه جمعه عن طريق غير « طريق التهذيب » ، وأنه مازال يفتقر الى مزيد منه .

4 - أن أبا الحيزران يسعى الى تحقيق مشروع يكون بموجبه قد ترك هذا العمل واستراح .

5 - أنه يبحث عن الراحة والاستقرار . وهذا الاستقرار لن يتمكن من الوصول اليه الا بالمال .

6 - أن أبا الحيزران قد تعب جدا في حياته و « بشكل كاف » .

كما يمكننا أن ندرك من خلال نص الخطاب هذا الخلفية التي يرمي اليها أبو الحيزران سواء كان ذلك بوعي أو بدون وعي ، وهذه الخلفية تنبني كالاتي :

أ - أن أبا الحيزران رجل فقير وقد تعب جدا في حياته وبالتالي فهو يريد أن يرتاح ويستقر .

ب - ولكي يتمكن من الراحة لا بد أن يسعى الى تجميع ثروة .

ج - لذلك فهو يعمل في التهذيب .

من هنا نتبين أن النقطة الثالثة التي نعتبر أمرا جليا بالنسبة للطرفين المتحاورين ( أسعد وأبو الحيزران ) تغدو مبررا كافيا للنقطة « ب » . وأن النقطة الثالثة تصبح مبررا للنقطة الاولى « أ » .

كما يمكننا أن نلاحظ أن هذا الخطاب لا يخلو من صيغ للتأكيد تتمثل في تكرار نفس الكلمة ( مزيدا من النقود ) أو القسم ( إيه والله ) .

ثانيا : الحوار أيضا قد يكون ذا جدوى أولا يكون ، كما يمكن أن يكون ساذجا أو بسيطا أو خطيرا ومهولا . الحوار كان السبب في القضاء على الضحايا الثلاث خنقا . حوار أبي الحيزران مع أبي باقر رجل الحدود . كان حوار ماجنا ومستهترا تطلب أكثر مما يجب ليكون سببا في واد الرجال الثلاثة داخل الحزان .

الحوار .. الكلام .. القول .. هو ما عاق أبا الحيزران عن إتمام مهمته بسرعة ( الامضاء على الاوراق المطلوبة ) .

أبو باقر يريد أن يصرف ويخبت من أبي الخيزران سبب تعطله في  
البصرة . ويصرح أبو الخيزران لأن سيارته قد تعطلت الا أن أبا باقر لا  
يصدقها :

- « لا تكذب يا أبو خيزرانة .. لا تكذب .. الحاج رضا حكى لنا القصة  
من الالف للياء .. »

- أية قصة ؟ (20) .

ويغدو الحوار حكاية وتغدو الكلمة قصة ولكن أية قصة ؟

- « قصة تلك الراقصة .. ما اسمها يا علي ؟ »

- كوكب .

« كوكب ! كوكب ! يا أبا خيزرانة يا ملعون لماذا لا تحكي لنا قصصك في  
البصرة؟ تمثل أمامنا أنك رجل مهذب ثم تمضي الى البصرة فتمارس الشورور  
السبعة مع تلك الراقصة .. كوكب .. آه كوكب هذا هو الاسم » (21) .

وتكبر القصة فتغدو حكاية ويلجأ أبو باقر على سماعها . وليس مجرد  
سماعها بل مجرد إثارها يثير في نفس أبي باقر هياجاً جنسياً شديداً يوحى  
بحرمانه الفظيع . وهذا الحديث المطلوب قد يخفف من وقع هذا الكبت فيغدو  
بالتالي تسلية يعيشها هذا الموظف بخياله حتى يغدو قريباً من الممارسة  
الجنسية ومن اللذة ، وتتحرك لها كل مشاعره فينتفض ويتشوق الى سماع  
الحكاية ويرفض أن يوقع على الأوراق الا بعد سماعها . الحديث من الطرف  
المقابل ظل مبتوراً متقطعاً ومقتضباً ، فهذا الحوار بالنسبة له هو مزاح ثقيل  
بل مزاح خطير لا يمكن له قبوله لانه سيرمي بأرواح بريئة الى التهلكة ، هذا  
بالإضافة الى كون هذه الحكاية هي من محض الخيال .

« يا لعنة الآله العلي القدير عليك ، يا لعنة الآله الذي لا يوجه قط في أي  
مكان تنصب عليك يا أبا باقر ! وعليك يا حاج رضا يا كذاب ! راقصة ؟  
كوكب؟ يا لعنة الله عليكم كلكم » (22) .

(20) رجال في الشمس ، ص 84

(21) رجال في الشمس ، ص 84

ثالثا : يمكن للحوار أن يرد بعد الحدث الروائي وبالتالي يمكن أن يكشف التجربة المعاشة ويختزلها أو يختصرها فيقدم في أسلوب معين يتمشى ونفسية الشخصية ومراميها ، كما يتمشى ومقدرة هذه الشخصية على استيعاب الحدث ومعايشته له ومدى مقدرة على روايته . هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فيمكن للحوار أن يسبق الحدث فيجىء معبرا عنه حتى وإن كان بشكل مفتعل أو ساذج بسيط أو معقد . ويخضع نقل هذا الحدث قبل وقوعه عبر الحوار الى مدى أهميته وفائدته والغاية منه . فالرحلة المزمع القيام بها مثلا وردت على لسان أبي الحيزران كما يلي :

« ادي سيارة مرخصة لاجتياز الحدود ها ! يجب أن تنتبهوا : إنها ليست سيارتي .. » (23) .

يمكننا أن نتبين أن هذا الخطاب لا يخلو من أشياء هامة هي عبارة عن معلومات قابلة للتصديق أو التكذيب وهي رهينة بمدى صدق صاحبها . ودلالات هذا الخطاب تضع هؤلاء الافراد أمام واقع الاختيار ، وبقدر ما تتوفر المعطيات المطبئنة بقدر ما يمكن للصيغة أن تتم بسهولة أكبر .

رابعا : يمكن الحوار أن يشتمل على عناصر دقيقة وواضحة ومفصلة فذلك من شأنه أن يسهل عملية تقبل ما هو مطلوب :

« لا تجعل من القضية مأساة ، هذه ليست أول مرة .. » (24) .

مدى تقبل هذا الكلام يسهل أكثر مهمة إنجاح العملية المزمع القيام بها ، كما أن في الآن نفسه هناك طمأنة للخاطر ( هذه ليست أول مرة .. ثم هوب .. ) .

خامسا : الحوار أخيرا يمكن أن يكون مناسبة لهز كيان الفرد ، كما يمكن أن ينقله عبر ذاكرته أو عبر التداخي الحر الى أعماق أعماق نفسه .

« قال أسعد يهدوء :

— قل لي يا أبا الحيزران .. ألم تتزوج أبدا ؟

(22) رجال في الشمس ، ص 87

(23) رجال في الشمس ، ص 51



– أنا ؟

سأل يعجب ، واكتسى وجهه الهزيل بالاسى كأنه لم يضحك قبل هنيهة ،  
ثم قال ببطء :

– لماذا تسأل ؟ ( 24 ) .

إن مجرد السؤال كان يثير فى نفس أبي الخيزران احساسا عربيا « بالم  
يغوص بين فخذه كأنه ما زال ملقى تحت الضوء المستدير الساطع وساقاه  
مرفوعتان الى فوق » ( 25 ) .

هذا كما يضطر الى أن يغير مجرى الحديث .

هذا هو الحوار وهذه هى أبعاده كتنقية فى البناء الهيكل للرواية .

## 2 – التداعي الحر والحوار الباطني :

يعتبر الحوار الباطني والتداعي الحر من الأساليب الفنية التى اعتمدها كنفاني  
باطناب فى روايته ، وهما لا يخلوان من المميزات التالية :

٢ – الوقوف على أهم معالم شخصيات الرواية وخاصة فيما يتعلق  
بماضيها ، فهى تغوص بعيدا فى أعماق أعماقها مما يساعدنا على فهم وإدراك  
أبعاد ودلالات هذا الماضى . وهذه المعلومات الإضافية التى تصلنا من خلال  
التداعي الحر أو من خلال الحوار الباطني تميزت بها كل الشخصيات المحورية  
فى الرواية .

فالشط مثلا ( شط العرب ) بالنسبة لأبي قيس ، لا يأخذ معناه إلا عبر  
التداعي الحر حين تعود به الذاكرة الى قول الاستاذ سليم « العجوز النحيل  
الأشيب » .

---

( 24 ) رجال فى الشمس ، ص 54 .

( 25 ) رجال فى الشمس ، ص 60 .

( 26 ) رجال فى الشمس ، ص 62 .

« وحين يلتقي النهران الكبيران : دجلة والفرات يشكّلان نهرا واحدا اسمه شط العرب يمتد من قبل البصرة بقليل الى ... » (27) .

تتلاشى الكلمات في ذهنه الا أننا ندرك عند هذا الحد المكان الذي يوجد فيه أبو قيس في الواقع والزمن الذي يحصره .

عبر الشط ينتقل أبو قيس الى الجملة التي كررها الاستاذ سليم « عشر مرات بصوته الرفيع لطفل صغير كان يقف الى جانب اللوح الاسود ، وكان هو مارا حينذاك حذاء المدرسة في قريته .. » (28) .

وعبر هذه الجملة تنتقل به الذاكرة عبر التداعي الحر - ليغوص أكثر في ماضيه - الى مقدم الاستاذ سليم أول مرة الى قريتهم في يافا ليعلم الصبية ، كما يذكر جيدا الاحداث والحوار الذي دار في الديوانية .

وفي هذا الاستطراد في البناء الروائي يجعلنا الكاتب نعيش حدثا روائيا يقوم على التصوير والحوار .

ولا يتمالك أبو قيس نفسه من متابعة هذا التداعي الحر فتمر بذهنه صورة صوت الاستاذ سليم الذي يعتبره قد نال حظوة عند الله حين جعله يموت قبل ليلة واحدة من سقوط القرية المسكينة في أيدي اليهود .

وعبر هذا المشهد يضع أبو قيس نفسه موضع مقارنة مع الاستاذ سليم ويقول في مرارة : « ترى لو عشت ، لو أغرقك الفقر كما أغرقني .. أكنت تفعل ما أفعل الآن ؟ أكنت تقبل أن تحمل سنّيك كلها على كتفيك وتهرب عبر الصحراء الى الكويت كي تجد لقمة خبز ؟ » (29) .

من خلال هذا الحوار الباطني البسيط في شكله الظاهري يمكننا أن نتوقف عند أشياء مهمة تتعلق بشخصية أبي قيس :

---

(27) رجال في الشمس ، ص 12 .

(28) رجال في الشمس ، ص 12 .

(29) رجال في الشمس ، ص 15 .

- ١ - أنه يروم الهرب إلى الكويت عبر الصحراء .
- 2 - أنه هرب نتيجة الفقر الذي أغرقه والبحث عن لقمة العيش .
- 3 - أنه لم يبلغ الكويت بعد ، وما هو مرمي بالقرب من شط العرب .

إن هذا الشط الذي يرحل عبره أبو قيس في كل مرة ليفوص أكثر في ذكريات حياته هو النقطة الفاصلة أو النقطة الرابطة بين قريته والكويت التي تشكل حلما بالنسبة له . هذا الحلم لا يكاد يتصوره أو يميزه بل يخمن أنها شيء موجود ولا بد أنها تحتوي على أناس وأزقة وأشجار . ومن مكانه في شط العرب تتزاحم الافكار في رأسه وتتشبث بذهنه صورة زوجته التي لم تكن مراقبة لقرار سفره وهي خائفة من عواقبه غير المأمونة .

فبعد هذا التداعي تواصل الأحداث تسلسلها وتتوالى في ذهن أبي قيس وهو لا يزال ملقى على الأرض الندية ، أرض الشط .

إن هذه الرحلة التي مرت عبر ذهن أبي قيس جاءت على شاكلة استطرادات ، انطلق فيها الكاتب من نقطة ليعود إليها من جديد ، أخذت عبرها الأحداث شكلا تسلسليا تتخلله بعض الفواصل التي هي عبارة عن رموز ودلالات تأخذ أكثر من معنى لتتيح للقارئ أن يتحول عبرها كما يتحول بسهولة في ذهن أبي قيس في أسلوب شبيه بالأسلوب السينمائي المستمد على « الفلاش باك » .

2 - يتضمن هذا الحوار الباطني أو التداعي الحر فصولا قصصية قائمة الذات حتى وإن جاءت متقطعة وذلك في نوع من الاستطراد . فضمن سياق الأحداث نعر على فصول قصصية فرعية تكاد تكون مكتملة ، تنطلق مثلما هو الحال بالنسبة لبقية الحوار الباطني من دلالات معينة . فبعد الطريق مثلا ومن خلال هذه الكلمة تتزاحم الطرق في رأس أسعد وترن جملة : « ستجد نفسك على الطريق » في مسمعه . وعبر التداعي الحر يعود أسعد بتفكيره ليوقفنا على حادثة هروبه من الاردن الى العراق فنتمثل الحادثة كاملة وإن كان يتخللها هذا الانقطاع الذي يتنبه خلاله أسعد الى حيز الزمان الواقعي وهو واقف أمام الرجل السمين في حانوت التهريب بالبصرة .

يسرد لنا الكاتب هذه الاحداث بشكل معكوس إذ يبتدأ من النهاية ليعود الى البداية ، إلا أنها لا تخلو من فنية قصصية إذ نجد كل ما يميز البناء القصصي عموماً من سرد ووصف وحبكة وصراع وشخصيات وحوار الخ ...  
ينصت أسعد الى أبي العيد الذي قام بتهريبه من الاردن الى العراق ، يقول :

« ما عليك إلا أن تدور حول الاتشفور لا بأس أن تضرب قليلاً الى الداخل..  
ثم عد وستجديني بانتظارك على الطريق » (30) .

وقع هذا بعد أن قطع نصف الطريق وبعد أن أخذ منه عشرين ديناراً .  
وأرغم أسعد على قبول هذا الامر بالرغم من كونه لم يكن ضمن الشروط المسبقة ، ولكن أسعد يخدع وتستغل براءته وجهله فينزله المهرب من السيارة بعد رحلة يوم قاتل وجعله يسير في عز الحر .

ويواصل الكاتب تتبع تسلسل هذه الاحداث ليعود من جديد الى لحظة المنطلق فيشد أسعد على النقود في جيبه وهو يتابع الرجل السمين ، ويذهب به التفكير الى عمه الذي أدانه هذا المبلغ ووعده بأن يرده له في أقل من شهر حالما يصل الكويت .  
<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

ولا يلبث الكاتب أن يعود بنا من جديد الى متابعة أحداث قصة تهريب أسعد . وبنفس الاسلوب وعبر تطور الدلالات نجد أنفسنا من جديد على الطريق . ومجرد لفظة « جرد » تحملنا الى جرد الحقل الذي ينط فتلمع عيناه الصغيرتان في ضوء سيارة تركبها « فتاة شقراء بجانب زوجها المنهمك في السياقة » (31) .

إن هذه السيارة عينها تلتقط أسعد وقد أنهكه التعب والبرد بعد مسير أربع ساعات حول الاتشفور ، وتكتمل فصول هذه القصة فيقع التطرق الى

---

(30) رجال في الشمس ، ص 24 .

(31) رجال في الشمس ، ص 29 .

الحديث عن بعض المسائل العامة كالتهريب وبعض الاخبار العادية والحديث عن الجرذان ، الى أن تقول المرأة الشقراء : « الجرذ نفسه حيوان مرغب كربه » ويستفيق أسعدوهو لا يزال أمام الرجل السمين الذي يردد نفس الكلام « الجرذ حيوان كربه » (32) .

عبر التداعي الحر وعبر الذاكرة وعبر امتزاج الصور ببعضها تتطور الدلالات فيها نتبع الرحلة التي قام بها أسعد الى أن بلغ البصرة . وجاءت هذه الاحداث التي تكاد تشكل بمفردها فصلا قصصيا مستقلا ، عبارة عن مضمة روائية وعبارة عن تسلسل أحداث معكوسة .

3 - يتم هذا الحوار الباطني ، وهذا التداعي الذي يصحبه عبر تطور الدلالات ، فيكون الانطلاق من مجرد سماع كلمة أو ذكرها ، كما يمكن أن يكون انطلاقا من صورة معينة ، بل إن تخيل هذه الصورة أحيانا كاف الى أن يرجع بنا بعيدا بعيدا . فعلى ذكر الزواج مثلا يشعر أبو الحيزران بالآسى ، ومن خلف مقوده في الطريق الصحراوية ، ونتيجة لنور الشمس الساطع يغوص أبو الحيزران في ذكرياته لحظة أن استفاق وهو ، يحس بالسم فظيع يتلولب بين فخذه (33) .

وبذكر الطريق كما رأينا تتزاحم الطرق في ذهن أسعد . كما ينتقل أبو قيس عبر الشط ليغوص عميقا في أفكاره وفي ماضيه .

3 - السرد والوصف :

من التقنيات الفنية التي استعملها الكاتب في روايته السرد . يقوم السرد بعملية الانتقال من مرحلة الى أخرى في تطور الاحداث وتشابكها . إنه سرد يركز أساسا على صيغ الفعل الماضي لتفيد الزمن الماضي . وكثيرا ما كان ينتجى الكاتب الى استعمال الفعل الناقص : كان . كما يخفى أيضا أن استعمال الفعل المضارع عادة ما كانت تفيد الزمن الماضي .

(32) رجال في الشمس ، ص 33 .

(33) رجال في الشمس ، ص 60 .

يتدخل الكاتب في تركيب أحداث روايته وفي ربط العلاقات المتنوعة لمختلف شخصياته ، وعادة ما يضع نفسه خارج الأحداث ويلعب دور الراوي القادر على نقل الأحداث بدقة وتتبع شخصياته في أدق حركاتها وانفعالاتها وردود أفعالها . كما يتصرف في الأحداث تصرفا كاملا غايته في ذلك شد القارئ اليه في أسلوب أخاذ .

كل أحداث الرواية جاءت في صيغة الماضي بداية من الفصل الاول الى حد خاتمة الفصل الاخير . إلا أن في هذه الفصول هناك تفاوت في التحديد الزمني . فمن ناحية هناك الحدث الرئيسي الذي يتعقبه الكاتب ويمتد من نقطة اللقاء في البصرة بين الاطراف المختلفة لينتهي الى آخر الرحلة . أما بقية الأحداث فكان الكاتب يوصلها اليها عبر تقنيات التداعي الحر والمونولوج ليحملنا من جديد الى ماضي كل طرف من الاطراف أو الى مستقبلها مكسرا بذلك كل الحواجز الزمانية أو المكانية التي يمكن أن تعيق حرية تحركه .

هذا البناء الروائي المتميز عند كنفاني يسير تبعا لخطوط متوازية تربط بين الحدث الرئيسي أو القصة الأم ، وبين بقية القصص أو الحكايات الفرعية التي تعتبر ضرورية وهامة لتكملة بلوغ الصورة الكاملة فيما يتعلق بهذه الشخصيات .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فالحدث الرئيسي كما ذكرنا يهم الرحلة أساسا إلا أن بقية الأحداث هي فواصل مكملة للحدث الرئيسي . هذا الأسلوب الذي يقوم على الاستطراد هو ما يعرف بالتضمين أي أن تتضمن الرواية الواحدة العديد من الروايات المصغرة الأخرى ، والتي تعتبر متممة للرواية الأصلية ، حتى وإن جاءت هذه الحكايات الفرعية متكاملة أحيانا من حيث هيكلتها ومكوناتها القصصية فتتكامل فيها الشخصيات ويبلغ الحدث قمة النهاية . كما أنها تحوم على دعائم فنية بينة مثل الحوار الباطني والوصف والسردي الخ ...

هذه الحكايات تكون متماسكة بواسطة خيط رفيع يمسك به الكاتب من دون أن يفرط فيه مما يجعل الأحداث أحيانا تتميز بالتشتمت والتصعيد . وفي الآونة نفسها التي يتابع فيها القارئ أحداث الرواية الرئيسية ينقطع في كل مرة ليكتشف عالما روائيا جديدا يتعلق أساسا بأحد الأبطال الرئيسيين للرواية الأم . هذا البعد يكون عادة في طريق تطور بعض الدلالات ، ينتقل

الكاتب بواسطتها وبكل يسر من حيز الزمن الحاضر أو الفعلي إلى الزمن الماضي . هذا التحول عبر الحدود الزمانية لا يعيقها الحيز المكاني ومن هنا نأخذ حريتنا في التنقل من مرحلة إلى أخرى ومن فاصل زمني إلى آخر . فما سبق ذكرنا فيما يتعلق بالتداعي الحران الكلمة أو الصورة أو تخيل الصورة قد تكون منطلقا إلى الرجوع إلى الحلف في ما يعرف بالومضة الوراثية . هذا التحول يتم بسهولة وبسرعة عجيبة تتناسب وومضات الذهن . وفي هذه العودة نجد أنفسنا أمام حكاية جديدة من مهامها أنها تساعدنا على تكوين صورة ضافية تضرب في جذور الماضي البعيد أحيانا كما يمكن أن تحكي لنا الماضي القريب في أحيان أخرى ، كما لا يخفى أنها تأخذ أحيانا شكلا معكوسا .

كما يقام السرد أيضا على نوع من التداخل في الخطاب . تداخل بين كلام أي الكاتب وكلام الأبطال فكثيرا ما يتحدث الراوي عن شخصية معينة بضمير الغائب ، وسرعان ما ينقلب هذا الضمير ويصبح البطل يتكلم على لسان المتكلم ، عندها يتقمص كنفاني شخصياته ويلبسها من الداخل فيتحدث على السنتها .

ويأخذ بالتالي هذا الرد شكل الحوار الباطني في صورة من التداعي يخاطب فيها البطل نفسه كما يخاطب غيره من دون أن يراه . هكذا يحدث مروان نفسه وهو يسترجع ذكرى الرسالة التي كتبها إلى أمه . وهكذا يخالب أبو قيس الأستاذ سليم الذي فقدته من سنوات وكأنه يخاطب ذاته .

في الكثير من الأحيان وفي ما يتعلق بالسرد دائما لا يتبع كنفاني تطور الزمن الفعلي للأحداث فكثيرا ما يقدم لنا الحدث مثلا ليعود من جديد فيطلعنا على دقائقه وتفاصيله . في أحد فصوله القصصية يخبرنا ببولد بنية لأبي قيس « سماها سنا » ، ماتت بعد شهرين من ولادتها وقال الطبيب مشمئزاً : « لقد كانت نحيلة للغاية ! » (34) . يقول الكاتب هذا ليستدرك من جديد : « كان ذلك بعد شهر من تركه قرينته ، في بيت عتيق يقع في قرية أخرى بعيدة عن خط القتال » (35) . ثم يأخذ بعد ذلك في ذكر تفاصيل

(34) رجال في الشمس ، ص 16 .

(35) رجال في الشمس ، ص 16 .

الحكاية بالاعتماد على الحوار . كما ينتقل أحيانا أخرى من دلالات معينة في عملية استطرادية لترجعنا من جديد الى الحدث الرئيسي والزمن الفعلي السرد.

هذا السرد في الرواية جاء وثيق الصلة بالوصف وتصوير الحالات النفسية والسلوكية لشخصيات الرواية . لقد أبدع الكاتب من هذه الناحية إبداعا قويا ، فالوصف عنده ليس مجانيا ولكنه يجيء مدعما لأفكاره ومضمون كتابته .

### وصف الحركة :

يعتمد وصف الحركة على الرؤية كما يعتمد على السماع . وهذا الوصف يساعدنا على معايشة الحدث . والصور المصورة عند كنفاني شبيهة جدا باللقطات السنمائية وخاصة بحجمها الكبير . فهي عادة ما تكون معبرة بل قوية التعبير ولها مدلولاتها العميقة .

« صفق الباب وراءه وسار ( الحديث عن مروان ) . كأي ما يزال يسمع صوت عكاز شفيقة ( زوجة والده ) يقرع البلاط بوقاية ، وعند المنعطف تلاشى الصوت » (36) . <http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

هذه الرتبة بالنسبة للعكاز توحي بهذا السير الوئيد لشفيقة ، وهذا السير الوئيد ينم عن ثبات وثقة في النفس ، يعطينا صورة تعبر الى حد بعيد عن سمات هذا الوجه الذي سبق أن عبر عنه الكاتب بأنه « حاد اللمع مثل وجوه كل أولئك المرضى الذين لا يرجي لهم الشفاء » (37) . وهذا البلاط يوحي بأرضية البيت ، بيت الاسمنت الذي فر اليه والد مروان بعد أن ترك بيت الطين من مقابل اقدامه على الزواج من شفيقة . أما عكاز هذه الأخيرة فيذكرنا برجلها المبتورة الى حد منبت الفخذ . و « عند المنعطف يتلاشى الصوت » كما تتلاشى الصورة ومضة سينمائية خاطفة تتبين من خلالها أن البطل مروان هو المعنى بهذا الحدث ، فيمكن للصوت أن يقترب كلما اقترب مروان كما يمكن له

(36) رجال في الشمس ، ص 47 .

(37) رجال في الشمس ، ص 46 .



أن يتلاشى بابتعاد مروان . هذا التلاشى ينقلنا بسهولة الى خارج البيت ونحن نتابع تحرك البطل .

هذا التصوير يبتكر فيه الكاتب قوة الاخراج مستعملا في ذلك تقنيات تصويرية هائلة ، فيكتب وكأنه يتنقل بجهاز تصوير يتميز بمقدرته الفائقة في تغيير فترحه عدسته مما يمكنه من التقاط الصور على مسافات متفاوتة جدا ومتباعدة جدا .

« فيما كانت السيارة تتطلق كالسهم تاركة وراءها خطا من غيوم الغبار ، كان أبو الخيزران ينزف عرقا غزيرا يصب في وجهه ممرات متشعبة تلتقي عند ذقنه » (38) .

من خلال هذه الصورة ننبين العلاقة بين العالم الخارجى والعالم الداخلى . هذا العالم الخارجى عبارة عن صحراء قاحلة واسعة ورميية . وهذا العالم الداخلى هو عالم أبي الخيزران الذى يقود سيارته .

إن استعمال هذه الأداة « فيما » تعبر عن هذا الربط ، فحالة أبي الخيزران شبيهة بحالة الطقس خارج السيارة الكبيرة . وهذه الصورة توحي إلينا بسرعة الحركة ( لنطلق كالسهم ) كما تصور أثر هذه السرعة في إثارة هذه الغيوم وهذا الغبار .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهذه الحركة الخاطفة والسريعة تجعل القارىء يتابع هذه الصورة فيقف في مراجعة أمامية أو جانبية لهذه السيارة المنطاقة لوقوفها بسرعة في عبارته « تاركة خطا » . وما أن تغيب السيارة بسرعة في عدسة الكاتب أو القارىء حتى تظالنا صورة وجه أبي الخيزران بالحجم الكبير فى نوع من التركيب السينمائى ( مونتاج ) ، هذا الوجه الذى يتصبب عرقا فيجعلنا نحس بل نعيش حالة أبي الخيزران فى تلك اللحظات .

ولا يفرط الكاتب فى تتبع عملية التصوير هذه ، بل يحاول دائما أن يلتقط الصورة المعبرة ومن الوجهة المكبرة لوقوف على علاقة الاشياء ببعضها . ويتابع سير هذه السيارة محاولا أن يزيد من تقريب الصورة باستعمال الصفات ولكن من دون إطناب . فليس الوصف وحده يزيد فى بلاغة الصورة ولكن

---

(38) رجال فى الشمس ، ص 71 .

الكلمة أيضا والافعال والربط الى غير ذلك ، كلها أدوات صالحة لإبلاغ ما يريد إبلاغه .

« الأرض ، تنطوي ، والسيارة تزار ، والزجاج يتوهج ، والعرق يحرق عينيه وما زالت قمة الهضبة تتراى له بعيدة كالأبد » (39) .

لنتأمل في هذه التعابير فنلاحظ :

1 - الأرض تنطوي

2 - السيارة تزار

3 - الزجاج يتوهج

4 - العرق يحرق عينيه

5 - وما زالت قمة الهضبة تتراى له بعيدة كالأبد .

التركيب الثلاثة الاولى ذات نسق واحد : اسم وفعل . والافعال كلها لازمة . الاسماء توحي بصورة ثابتة ولكن فيها تدوج الأرض لتتحول بعد ذلك الى السيارة ثم الى زجاج السيارة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

التركيب الرابع يتميز بنفس الميزات ، الا أن الفعل في هذه الحالة جاء متعديا فتطلب مفعولا به . يقودنا هذا التدرج الى التركييب الخامس والآخر فيتغير نسق الجملة ويقذفنا من جديد الى بعيد ، الى الهضبة التي تتراى من بعيد ، فنحس عندها بهذا التجاذب بين الأشياء والرغبة في بلوغ هذا الأبد .

الافوصاف في هذه الرواية عديدة وبليغة وهي متنوعة ، لم يصف فيها الكاتب الحركة فحسب ، بل وصف الكثير من التفاصيل والجزئيات ، سواء كانت تتعلق بالأشياء أم بالناس . وهذا الوصف لا يجيء تعبيرا خارجيا فحسب بل قد يجيء موحيا بنفسيات شخصياته وما يحول في خاطرها .

شخصية أبي الحيزران مثلا هي من الشخصيات المعبرة في حركاتها وقسماتها ، ركز عليها الكاتب ربما لأهمية دورها في الحدث الروائي . كما أن

(39) رجال في الشمس ، ص 72 .

سلوكها وبالمخصوص حركتها توحى بهذه الالفة فى الشخصية التى نجدها عند الكثير من الناس .

« صاح أبو الحيزران ضاحكا وهو يضرب كتف مروان بكفه ويمد الأخرى ليصافح أسعد » (40) .

هذا السلوك أو هذا التصوير لسلوك أبي الحيزران يوحى بالتودد الى الجماعة . وتزامن هذه الأفعال مع الحال توحى بهذا التصرف المبالغ فيه . ففي الآن نفسه يقوم أبو الحيزران بثلاثة أفعال : صاح وضرب ومد ليصافح فى الآن نفسه وهو يضحك .

هذا الوجه الضاحك وهذا التودد الواضح وهذا الانبساط الملحوظ ، قد يتغير تبعا للحال والاحوال . وكم من مرة تطالعنا صورة أبي الحيزران فى حالة قلق أو اكتئاب أو فى حالة خوف وفزع .

« نظر الجميع الى بعضهم فى ما اتقلب وجه أبي الحيزران الهزيل فصار مبيضا من فرط الرعب وأخذ القلم يرتجف فى يده » (41) .

إن هذه الصورة لا توحى لنا بالحالة النفسية المضطربة عند أبي الحيزران فحسب بل توحى بالرعب . ويبدو هذا الرعب على وجهه وفى ارتجاف حركة يديه ، من هنا نتأكد أن الأمر فيه خطورة وأن المسألة لم تعد مزاحا ولا توددا .

هكذا اعتمد كنفاني هذا التصوير الدقيق ليجعلنا أقرب من شخصياته وليجعلنا نعيش الحدث بكل معانيه . أراد أن ينقلنا عن طريق الكلمة الى معايشة الحدث ، كما أراد أن يعري الأشياء من دون أن يجعلها مسطعة ولكن أراد أن يبحث فيها من قلمه حياة .

للاعتناء بالجانب الوصفى أطنب الكاتب فى استعمال بعض الأساليب البديعية ولكن من دون تكلف .

جاء الوصف عنده لا يخاو من البديع كالمجاز والاستعارة والتشبيه ، وجاءت صورته موحية ومعبرة لتأدية المعنى بأجل صورة . فالسيارة تنطلق كالسهم والمؤشر يندفع الى الامام « ككلب أبيض مربوط الى وتد » والعجلات ترسل أزيزا « كأنها تسلمح الأسفلت سدا » .

(40) رجال فى الشمس ، ص 48 .

## أبعاد الرواية :

من خلال هذه الرواية ومن خلال البناء الفني ماذا أراد أن يقول كنفاني للمقاريء ؟ أو ما هي القضية التي يريد طرحها ؟

في حقيقة الامر ليست هناك قضية بالمعنى الدارج للكلمة ، كما لا توجد أغراض واضحة وبينية مثلما هو الشأن في الروايات عادة .

إلا أن ما أراد أن يقوله كنفاني هو حتمية المواجهة بعد طرح السؤال . فالموت بالنسبة للإبطال الثلاثة ليس موتا حقيقيا بل هو نهاية فصل وخاتمة سلبية لتجربة هؤلاء . يجعلنا الكاتب في هذه الحالة في مواجهة السؤال الذي دوى في ذهن أبي الحيزران والذي ما لبث أن إنزلق على لسانه ، فرددت الصحراء هذا السؤال لماذا ؟ لماذا ؟. هذا السؤال هو صيحة استنكار صاح بها كنفاني على لسان أحد أبطاله ليدين هذا الواقع المرير الذي يحيى شعبه وليتكسر قيد هذا الحصار الذي يطوقه .

من خلال هذا السؤال ، ومن خلال هذا الاستنكار وهذه الادانة يطرح كنفاني القضية ( القضية الفلسطينية ) من جديد . من أجل هذا تتخذ أبطاله وشخصياته شكل الرموز ، فهؤلاء الرجال الثلاثة ، كما سبق وأشرنا ، هم رمز للأجيال الفلسطينية التي تعاني التشرد والاعتراب ، وأن هذه الشخصيات لا تسير وفق خطوط متوازية ، وأن كل فرد منها يبحث عن حل فردي لوضعيته المتردية . إلا أن المصير يجمعهم ويوحد بينهم ويؤكد على حتمية تواصلهم ، فيكون هلاكهم واحدا ، ومصيرهم واحدا ، وسلامتهم واحدة .

هذه الادانة قد لا تلاحق هذه الاجيال الميتة وهي حية بل قد تنصب كلها على أبي الحيزران رمز القيادة والقيادات الفلسطينية المساومة التي فقدت رجولتها في الحرب والتي تعمل في التهريب ، والتي تعمل في كنف الرجل الثري الحاج رضا والذي قد يرمز الى الاطراف العربية الثرية .

هذه هي الادانة والمواجهة التي يطرحها غسان كنفاني في روايته رجال في الشمس من دون أن يلتجئ الى الخطاب السياسي المباشر ومن دون أن يجهد نفسه في شرح قضيته وقضية بلاده ، فجاءت روايته في شكل عمل فني رائع تميز بأبعاده الانسانية من خلال العمق الذي نلمسه في شخصياته وأبعادها ، جاء هذا في أسلوب ولغة لا يخلوان من شاعرية وإيحاء .

عبد الحميد عبد الواحد

## لا سلطان إلا للحب

تظل تقرع أبواب الذاكرة كل ليلة وتتجول في ردهاتها ، توقظ الوجع ،  
تقرع أجراس الوحدة والغربة المقيتة ، تضرم النار في صدري وتنتشر نقاط  
الاستفهام .

لماذا لا ينقطع جبل الذاكرة وترحل معها وترحل معكما كل الذكريات ؟  
لماذا تنحت الأشياء والاحداث على جدارها ؟ لماذا لا يكون هذا الجدار كاية  
سبورة تكتب عليها حين نشاء ونمحو ما كتبناه حين نشاء .. كتابة أشياء  
أخرى ؟ لماذا !

لا أزال أبدا مشدودة الى الماضي وشيئا حيك لا تزال تلتف حول جسدي  
باحكام كبير ، عاجزة عن فك حبالها ، انتفض كالطير الجريح . ما استطعت  
أن أصنع من جرحي عناقيد فرح للزمن الآتي ، ما استطعت أن أزرع نواة  
الفرح في بستان عمري ، لا شيء غير طعم الملح في حلقي ، لا أزال أتوهج  
الما يحرمني لذة الحاضر ليأسرني بقيود الماضي ، لا أزال أنزف كلمات  
حاقدة ، قاتمة ، رافضة ، ساخطة أبعثرها على الورق بين الحين والحين في  
محاولة يائسة لنسيانك وللخروج من بوتقة حبك الحاد كشفرة الحلاقة ،  
المؤلم كالجرح ، المخدر كقرص منوم ما ان تبتلعه حتى تروح في سبات  
عميق ... وانت . يا أنت لا تزال ذكراك حية ، نابضة في كل لحظة ، عطرك  
الحامس لا يزال يافح عبره خياشمي ، كاهاتك الحانية لا تزال ترن في أذني  
وكانني أسمعها الآن ، همساتك ، قبلاتك ، مساسك لا أزال أتحمس مواقعها  
وأشعر بخدر لذيذ .

كنت عنيدا . وكان عنادي يفوق عنادك . كنت تريد المرأة التي تكون  
مجرد ظل لك أو نسخة مصغرة منك ، المرأة التي تلغي شخصيتها ، تلغي  
مبادئها ، تلغي عملها ، تلغي كل شيء فيها ... ولا تبقى سوى الجسد الذي

يثير نهمك ، هذا الجسد الذى يجب عليها أن تهتم بوزنه ، ببشرته ،  
بتقاسيمه واستداراته ... كنت تريد المرأة الخاضعة المستسلمة ، السلبية  
التي تنقاد الى تنفيذ أوامرك بدون تفكير ، المرأة التي تحركها كأي جهاز  
« إلكتروني » عبر أزرار معينة تضغط عليها كلما أردت شيئا ، تستجيب  
لطلبك حسب نوعية الزر الذي تضغط عليه . وكنت أنا التي تكره هذا  
النوع من النساء المسلوب الإرادة والتفكير المنحط كمومياء ، وكنت أحب دوما  
أن لا يحركني شيء آخر غير تفكيرى وإرادتى ، كنت الفتاة التي لا تنحني  
لها جبهة . وكنت المهرة التي لم تستطع ترويضها . وكنت كائنات سبق أنزلق  
بين أصابعك أو كارتب بري لا تستطيع الإمساك به ما إن تضع يدك عليه  
فرحا بفوزك به حتى ينفلت راكضا بعيدا عنك . كنت أريد أن يجذبك  
الجانب الآخر ، الجانب الذهني والانسانى والاكثر قيمة وديسومة ، الجانب  
الذى حاولت سلخه عني واغتتياله . وحين أدركت ذلك تشبثت به أكثر  
وأهملت كل شيء مهم وضرورى فى حياتى لأجل أن يبقى شامخا يثير  
غيتك وحفك لان مخزونك الوراثة عن المرأة والذى لم تستطع التخلص من  
بصورها لك جسدا جميلا يميل لعابك ، جسدا يضاف الى جسدك وتكون  
أنت المحرك له والمسيطر عليه ، لكننى ما استطعت أن أكون جسدا طائما  
لك . وكنت أشعر بأن هناك جيلا لا مرئيا يقمىني اليك ويعيقني عن الحركة  
إذا حاولت التحرك عكس اتجاه حركتك .

بدأت أتحرك عكس اتجاه حركتك ، أهملت مظهرى الخارجى ، لباسى  
أصبح باهت الألوان لا جمال فيه ولا أناقة ، شعرى الطويل قصصته ، زال  
اهتمامى بوزنى وبنظام أكلى ، الدمية الجميلة التي كنت تحبها ، حطمتها ،  
هشمتها لكي تبحث عن أشياء أخرى تشدك الى شخصى وتكون أجمل من  
جسدى وكان لا بد لك أن تجد حلا يعيد الامور الى نصابها وكان أول بند  
فى خطتك هو شل حريتى الاقتصادية بتحويلى من امرأة عاملة الى امرأة  
عاطلة تعتمد عليك فى كل شيء !

كان آخر لقاء بيننا فى ذلك المساء الحريف الذى ينذر بهبوب العاصفة  
مثل القطرة التي أفاضت الكأس ! مثل رذاذ المطر الصيفي المنفوش الذى  
يتحول فجأة الى مطر غزير يفرق كل شيء . ووجهك الذى حفظت خطوطه  
وتعابيرهم كان يوحي الى أنك تريد أن تقول شيئا هاما وأنك تضغط على

الكلمات تحسبها فى حلقك لكي تطلق سراحها فى الوقت المناسب وحين  
ادركت تمالكك هتفت ضاحكة .

- أشعر أنك تريد أن تقول شيئا هاما .

- فعلا ، لا أدري كيف أبدا .

- مفاجأة سارة أم مصيبة ؟

- باختصار شديد يجب أن تستقيلي من الوظيفة لن تكوني فى حاجة الى  
مرتبك .

- من قال لك إنني اشتغل لكي أحصل على المرتب العمل ضرورة انسانية  
للرجل والمرأة على حد سواء .

- أريدك أن تتفرغي لعشنا الجميل وتربية أطفالنا لن اسمح لك بأن  
تتركهم للخدم كي يربوهم .

- أعتقد أن تربية الاطفال تحتاج الى الامومة بأكثر ما تحتاج الى الأبوة !

تملكني الغضب الشديد لأننى كنت واثقة من وجود دوافع أقوى من دافع  
الحرص على تربية الاطفال حتمت عليك ذلك القرار . كنت تريد اذلاي  
وتحويلي الى امرأة عزلاء من كل سلاح !

... لن أستقيل .. .

وبحركة سريعة وعصبية وقفت من على الكرسي لاخرج وسمعت صوتك  
يناديني :

- « انتظري انتظري » لكننى قررت ساعتها أن أمنع صوتك من اختراق  
أذني وأن أسحب حبك من شراييني واندفعت خارج المكان وكأن النداء لا  
يعنيني .

سنة كاملة من الفراق كنت فيها كابوسى الذى يلازمنى ، كنت ظلي  
الذى يفارقنى أينما رحمت . وحين كنت أنظر فى المرأة يطالمنى وجهك بدلا

عن وجهي فأهرب منك ومنه ، حبك وهج الصحراء يكوي أضلعي يا شذى  
العبير في يوم ربيعي ، يا لحنا حنونا وصارخا لا ينقطع رنينه من أذني ،  
عاجزة عن محوه من صفحات الذاكرة عاجزة عن اقتلعه من ردهات القلب ،  
حبك التزيف المتواصل الذي لا ينقطع والحيط اللامرئي الذي يقيدني اليك ،  
وجهك الحلم يرسم في الذاكرة شهيا وموجعا في نفس الوقت . وجهك الوجع  
ينخر في الذاكرة وفي القلب .

سنة كاملة مضت وها أنت تعود لتتلو علي مسمعي ما تيسر من آيات  
الحب ، لتقول لي بأنني كنت هاجسك الاوحد في حلك وترحالك ، في حليمك  
ويقتلتك وبأنك ما زلت تود الارتباط بي .

لا أدري ماذا تبقى من قصتنا ؟ ماذا تملك لي الآن ؟ ماذا يمكن أن أمنعك  
بعد صدقي ووفائي وطفولتي المتعبة .

لا أملك إلا أن أهتف : لا سلطان إلا للحب .

دليلية الزيتوني

الكاف

شتاء 86

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



## زمن ولا رجسال

وقف الأمير في شرفة قصره وهو يحس بانقباض شديد ، وسرح نظره في الحقائق التي تحتضن قصره من ناحية وفي البحر الذي يداعب عرصاته من ناحية أخرى فأحس بشيء من الراحة .

رأى الأمير البحر أجمل تحت أضواء الصباح ... تسأل : كيف يلتصق البحر بالأرض ؟ ولماذا لا يهرق البحر في الهاوية ؟ ولماذا لا تنحدر هذه الكرة الأرضية إلى أسفل ، أو تطير كالبالونة إلى أعلى فتغيب عن مدارها بلا عودة ؟

أحس بالانقباض من جديد ، وبصداع في رأسه ، فرأى أن ذلك نتيجة إفراطه في الشراب في الليلة الماضية ، ومبالفته في السهر مع الجواري .

بدت له أشعة الشمس صفراء مشوبة بحمرة شبيهة بوجوه الذين أصدر فيهم حكم الأعدام ، وخيل إليه أن أشعتها في اندفاعها بغزارة تحاكي الدم المندفح من الأوردة حين تفصل عن رؤوسها .

ورأى الأمير - كما تعود كل يوم - ذلك العامل ذا الالبسة البالية المرقعة والحذاء القديم المفتوح من الجانبين يمر - كما يمر كل يوم - ذاهبا إلى شغله بخطى وثيدة متناقلة ، مقطأي الرأس ، ماسكا رقبته ببيماره وعصاه يمينه يديق بها الأرض ، فيحدث بذلك توقيعا متناسقا - على الأسفلت - مع وقع حذائه .

وتسأل : أينما الأجدر بالحياة ؟ أهذا الكادح كل يوم ؟ أم أنا الذي تحكمت في رقاب الناس ومسكت الدنيا بقبضتي فأتاحت لي من الجاه والسعة ما لا يقف تحت حد ، فعشتها طولا وعرضا ، وأكلت منها الرطب واليابس ، وقد زرعت من النساء حقائق في قصري ، فعرفت كبل شيء منهن وفيهن وعنهن ، فأينا يا ترى الانفع للدنيا ؟

واحس بانقباض يعود اليه من جديد ، وبالسأم يفترس قلبه ، وفجأة خطرت  
فى خاطره فكرة رآها جديرة بالاهتمام ، فالتفت الى ناحية المدخل ونادى بأعلى  
صوته زوجته شميسة

خرجت زوجته الى بهو القصر ترتدي لباسا حريريا طويلا يقبل الارض عند  
أقدامها ، وتتبعها من الخلف خادمة تحاول أن ترفع ذيل الثوب بين يديها حتى  
لا تتعثر فيه سيدتها .

نهر الأمير الخادمة ، وأمرها أن تعود الى حيث الحدم ، وأن لا ترافق سيدتها  
عندما يطلبها وهو منفرد .

سرحت شميسة نظرها فى البحر المترامى الاطراف ، ومسكت بيديها سياج  
البهو الذى يمسك به الأمير ، وسألته فاتحة باب الحديث :

– أترغب منى فى شىء ؟

قال لها مبتسما فى تكلف :

– أريد أن أسألك عن أمر خطير ببالي !

سألته فى لهجة المستعجل :

– ما هو ؟

قال لها :

– أيهما أخلص النساء أم الرجال ؟

أجابته بلا تردد :

– النساء لأنهن أرق عاطفة ورمز الحصب فى الارض !

قال الأمير فى احتراز :

– إنى أشك فى ذلك !

ردت شميسة مؤكدة :

– النساء أخلص من الرجال .

- قال لها فى لهجة جادة :
- لو جربنا واختبرنا لعرفنا .
- سألته فى حيرة :
- كيف نجرب المواطن البشرية وهى لا تقاس بالمكايل ؟
- أما رأيت ذلك العامل الذى يمر أمام قصرنا كل يوم ؟
- أجابت وهى تمنع النظر أمامها كمن يسترجع ذكرى :
- لقد لمحته فى بعض المرات ، اليس ذلك الذى يمر حاملا رفشه ، ولا يعود من نفس الطريق الا فى المساء ؟
- أجاب الأمير فى ارتياح :
- هو ذاك !
- استوضحته قائلة :
- وما الاختبار الذى ترغب فى إجرائه عليه ؟ أرجو أنك لا ترغب فى تشريح قلب الرجل ؟
- أجابها والفرح يعاوده :
- سترين أن اللعبة على غاية من الطرافة !
- استوضحته من جديد :
- وكيف ؟
- رد عليها فى لهجة يخالطها الجد :
- سنجرب معه الموت !
- قالت له فى لهجة لوم :
- أتلعب بالموت مع الآخرين ؟
- أجابها :
- إن الموت أكبر لعبة يجرب بها الانسان .
- قالت له :
- لا يجب أن نجرب - بالموت - الوفاء من عدم الوفاء .

أجابها مبتسما :

- إنها مجرد لعبة نرغب في التسلي بها .

وسكت وسكتت .

ثم نادى كبير الحجاب قائلا :

- أيها الحاجب .

- نعم سيدي .

- إنني أرغب منك في القيام بمهمة ..

- سمعا وطاعة سيدي ..

قال الأمير :

- إذا رأيت ذلك العامل الذي يمر كل يوم من أمام قصرنا فاستحلبه

إليتنا لأننا نرغب في إصدار أمر إليه .

قال الحاجب :

- حاضر سيدي .

ثم انحنى وتأخر ماشيا الى الخلف الى ان ابتلعته المشى الطويل داخل

القصر .

في المساء حضر الحاجب العامل أمام الأمير في حديقة القصر ، سلم العامل

على الأمير ، فلم يرد هذا عليه السلام .

حدث الأمير العامل في لهجة الجاد الحازم :

- أخبرني أعوانى أنك بقدر ما تعمل وتكدح بقدر ما تبذر زوجتك ما

تحصل عليه ، فانت معها كمن يبذر البذر في هذا البحر ، ويحاول أن يحصل

والزراع ماكول ، وأذلك رأيت أن تقتل هذه الزوجة المبدرة ، فإذا أخبرتنى

أنك تخلصت منها فاني سأغير ما بحالك وأزوجك بأميرة من أميرات

القصر ، وأقر لك راتباً جارياً ، وسيقوم وقتها الخدم بشؤون أطفالك !

قال العامل في حيرة :

- كيف أقتل أم أولادي ؟

قال الأمير وهو ينتقل بالنظر بين زوجته وبين العامل :

— خذ هذا السكين الحاد المخلوط معدنه بالسّم واذبحها في الليل عندما يستغرق أبنائك في النوم .

قال العامل في اضطراب :

لا أستطيع !..

تصنع الأمير لهجة حادة وقال :

— أمرتك فافعل ، وإلا !..

أخذ العامل السكين بغمدها ، وأخفاها بين ثيابه وذهب .

★ ★ ★

قالت رفيقة لزوجها نضال :

— عهدي بك تقبل كل يوم على الحبز والزيت والزيتون فمالك لا تأكل هذه الليلة ؟

قال لها وهو يتنهد :

— هناك من الامور الجارية ما يقطع الضحية حتى من الحياة !

سأله :

— وإي الامور التي تشغل بالك ؟

أجابها :

— أمور البلاد والعباد !

قالت له :

— لسنا نحن المسؤولين !

قال لها :

— لقد اختلط عندنا الحابل بالنابل ، وفشا الكذب والمحال ، وتذابح الناس ، وتدابروا ، وصار كل شيء على غير طبيعته .

قالت له :

— دعنا في همتنا ، فلسنا بحاجة الى هم آخر !

نظر اليها نظرة لوم وعتاب وصمت :

أرق نضال تلك الليلة ، وتداولته الأحلام المزعجة ، وتلاحقت وساوسه ، وتتابعت افتراضاته فى حالة قتلها ، وفى حالة امتناعه عن القتل . وأحس باختناق من جراء ضيق شديد فى صدره ، فجلس فوق الحصير ، وأرهق سمعه فلم يسمع فى سكونة الليل إلا أنفاس الصبيان وأهمهم وهى تردد بهدوء وطبائنة ، ونظر خارج كوخه فرأى الظلام يخيم ، وبدا له أنه ثقيل يزيد من حزنه ، وأن المستقبل مظلم ، والدنيا مظلمة ، وأن الإنسان جاء من الظلام وذهب إلى الظلام ، وتساءل لماذا وجد ؟ ومن أين جاء ؟ ولماذا تسمى الدنيا للكرام ، وتكرم اللثام ؟

ثم قرر فى داخله أن لا يأخذ برأى الأمير ولو كان ذلك على حساب حياته ، فهدأت نفسه بهذا القرار ، وسكن اضطرابه . ثم تساءل : لماذا يقتل الناس بعضهم بعضا ؟ الآن الشيطان يسكن فيهم ؟ أم أن شياطين الانس مثل هذا الأمير يدفعونهم إلى ذلك ؟



فى الصباح وجد الحاجب الأمير بانتظاره فى الطريق ، سأل فى لهفة :  
— هل قتلتها ؟

أجاب نضال : <http://Archivebeta.Sakhrir.com>

— أنا لا أقتل الأبرياء !

رد عليه الحاجب :

— أليس هذا أمر الأمير ؟

أجابه فى لهجة رصينة :

— لا يقتل الأبرياء إلا الأمراء !

ثم مد السكين للحاجب وقال له :

— أعطه لأميرك ليقتل به من يشاء ويتحمل جزاءه وحده .



رجع الحاجب فسأله سيده :

— ماذا فعل الرجل ؟

أجاب الحاجب فى لهجة مضطربة :

— لقد امتنع عن القتل !

التفت الامير الى زوجته شميصة ، ونظر اليها نظرة المنتصر وقال لها :

— الآن سنقوم بالجزء الثانى من اللعبة !

سألت شميصة :

— وكيف سيكون ذلك ؟

قال الامير :

— ستعرفين فيما بعد !

ثم أمر الحاجب بأن يذهب الى بيت العامل الذى عرف أعوان الامير سراً  
موقع بيته ، وأن يعطي نفس السكين لزوجته العامل وأن يبلغها بأن الامير  
يقول لها :

— إن زوجك رجل سكير فاسد مبذر ، يتفق كل ما يجمعه من مال فى  
مأذاته وحاجاته ، ولذلك بقيت أنت وأولادك فى الفقر والفاقة ، فان أنت  
أقدمت على ذبحه بهذا السكين فى هذه الليلة فان الامير سيجعلك من  
محضياته ، ويغنيك ، ويملك الذهب والفضة ، ويملكك قصراً جميلاً ،  
ويكفل خدمه أولادك !..

ذهب الحاجب وهو يقول فى سره :

— ما أبقى الفقراء فى فقرهم إلا أمثال هذا الامير ! إنه أكل الأخضر واليابس  
وها إنه يتسلى بأغلى ما عند الناس : حياتهم .

\* \* \*

ترصد الحاجب العامل فى الطريق فى الصباح الموالى ، فلم يره يمر كما  
تعود أن يمر كل يوم ، فأحس الحاجب بحزن فى أعماقه لم يشعر به من قبل ،  
وبدا له أن زوجة العامل قد قامت بما أمرت به ، فازداد احساسه بالحزن وقال  
فى نفسه :

أن يلعب الاقوياء بحياة الضعفاء فذلك هو الظلم بعينه ! وأن يتخذ  
الانسان من أخيه الانسان الهمية فذلك هو الحسran !.. إن النفس أغلى من أن  
توضع فى المزايدات !..

طال انتظار الحاجب فى الطريق ولم يمر العامل فعاد هذا وأخبر سيده ،  
فتوقع أن الزوجة قد ذهبت زوجها ، فضحك ضحكة عالية وقال لزوجته  
شميسة :

- الآن سأنتصر عليك لانك ستعرفين بالبرهان أن النساء أقل إخلاصا  
من الرجال .

ثم أمر شرطته بأن تدعب وتطوق منزل العامل ، ففعلت .

\* \* \*

وجدوا العامل مذبوحا من الوريد الى الوريد ، ويكاد رأسه يقطع عن الرقبة  
من عمق ما غاصت فى المذبح السكين . حمل بعض الشرطة الجثة الى بيت  
الاموات ، وجر بعضهم الآخر المرأة الى القصر لاستنطاقها .

سألها الامير فى لهجة حازمة :

- لم قتلت زوجك ؟

قالت بصوت مرتجف :

- أنا لا أقتل حتى يعوضة !

شدد عليها فى السؤال قائلا : <http://Archivebeta.Sa>

- من قتله إذن ؟

أجابت :

- أنت أمرت ولعلك أنت نفذت !

أخذ الامير بيده كأس الحمر الموضوعة أمامه على طاولة قدت من الخشب  
التمين ورسمت عليها صور نساء عاريات ، تجرع من الكأس ، ووضعها أمامه  
على مهل ، ونظر الى زوجة نضال من جديد وسألها :

- من ذبح زوجك ؟

علا صوت مرتعش من الخدم الواقفين بدأ صاحبه أنه فى غير وعيه من  
شدة السكر :

- أنت ... دسس ... تنى عليه فى الليلة الفارطة وشددت على كسي  
أذبحه !.



قالت زوجة نضال وهي تبكي :

- ألم أقل لكم إنه الأمر والمنفذ ؟

قال الامير فى حزم :

- هى القاتلة !

قالت شميصة :

- أتريد أن تثبت رغم كل شيء أن النساء أقل وفاء من الرجال ؟

قالت زوجة نضال وغصة البكاء تخنقها :

- وهل هناك رجال ؟ نحن فى زمن بلا رجال !

إغتاط الامير وأمر الخدم بأن يحملوا العون السكران الى السجن ، وأن  
يقودوا المرأة الفقيرة التى تجرات على الكلام الى حبل المشنقة لانها قاتلة !

صاحت المرأة فى لوعة :

- أنا بريئة ... أنا بريئة ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تساءل الامير فى عجب :

- أحتاج هذه العامة ؟؟

سألت شميصة زوجها وعلامم الحزن بادية على وجهها :

- أتصلح خطأ بخطأ آخر ؟

قال كالوائق بنفسه :

- أنا لم أخطئ .. إنها مجرد لعبة ، أردت أن أراهنك فيها !..

قالت شميصة :

- ما دامت القضية لعبة قضيت فيها على حياة بريئة ، فلا تجعل هذه اللعبة  
تتواصل لتتقضي بها على حياة أناس آخرين !

أجابها الامير فى لهجة حازمة :

- مهما كان الامر فلا بد أن تشنق هذه العامية !  
انفعل الحاجب ، ووقف باعتداد لأول مرة أمام سيده وقال :  
- أنت المسؤول أيها الامير عن كل ما وقع !  
نظر الامير الى الحاجب الواضع يده على سيفه وقال له :  
- اأنت أيضا تجرات علي ؟؟

قال الحاجب بغلظة وشدة لم يمهدها فيه سيده وهو يخرج السيف من غمده ويرفعه في الهواء عاليا :

- أنت الذي تستحق القتل فمئلك من يلعب بمصائر الناس وحياتهم تتعفن به الدنيا !

أراد الامير الوقوف للدفاع عن نفسه فاهوى الحاجب على رأسه فقطعه .

من الغد انتصب رجل كيس أميرا لا يتخذ من حياة الآخرين ومصائرهم تسليية ولعبة له .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

**نور الدين بن بلقاسم**

في 24 ، 26 جوان 1986

نابل - سليمان

## معكم على الدوام ... يا أطفال

لقد هزمتني أيها الليل ، أيها الغراب الحقيق ، فكف عن النعيق لقد صممت أذني وألمت نفسي ولم أعد أطيعك .

أنت الآن سرداب أسود يخيفني وكل ما في جوفك أشباح غريبة عني تبعث القشعريرة في جسمي .

كنت تتربص بي وتزرع الاشواك في طريقي وتكيد لي حين كنت مشغولا بحبك . كنت أناجيك وأهيم في مدامك كلما تفتحت زهرات الحزن في نفسي وظهرت في أفقي غيوم الكتابة ، وكنت تجرب حبائك لتضطادني بأنجعها ، كنت إذا همت في ثباتك وتجلت إلي مفاتيحك فتحت لك صدري وحادثتك حديث الصديق ولم تكن صدوقاً ، وكنت تحتال علي لتعرف مواطن الضعف في نفسي حتى إذا أجهزت علي كان ذلك أمراً لا يحتمل الفشل ، وانقدت لك كالفر وأحببتك ، انفاسك الباردة كانت تغويني فأخرج كل ليلة لالقاك واستحم بطيبتها ، والمدينة التي يكسوها الغبار بالنهار ، كنت تهبها من نفائك وتلهمها الجمال والسكون ، فاعشقتك وأعشقتها .

كنت بحراً تحيى أمواجه من بعيد لتتكسر على الجدران التي لفحها الحر . وكانت المدينة شاطناً أمواجه من عبير أقصده لأنفض عني غبار النهار .

كنت تخدعني أيها الليل وتعمل على تحطيمي وها أنت تهزمني الليلة وذئ أمواجك تحطم زورقي الوحيد الذي بنيناه معا .

أتذكر أيها الليل ، منذ أيام قليلة ، عندما كنت عائداً إلى بيتي خالي البال وقطعت علي الطريق والقيت بالحجر السعيد في قلبي دفعة واحدة عن طريق زملاء المهنة ، فانفضت وتدق السرور في كل خلية من جسمي وجريت ،

لم أعد أذكر كيف كنت أجري وهل إنني فعلا جريت أم مشيت بسرعة ،  
أذكر فقط أنني ابتسمت ابتسامة الفائز عندما وقفت قرب جمع من الزملاء ،  
أتأكد من الخبر وبأدروني بكلمات التهئة ، وأنني طرقت باب بيتي طرقا  
متواصلا على غير عادتي ، وعندما خرجت زوجتي مدعورة أقيت عليها الخبر  
دفعه واحدة مثلما فعلت معي أيها الليل فارتبكت واصفرت وكادت تسقط  
كفراشة لكن سرعان ما عاد لها وعيها بالأشياء فكانت فرحتها أعظم من  
فرحتي ، وأشع وجهها بسحر غريب ورأيت بعينيها بريقا جميلا ثم طوقني  
بذراعيها واستسلمت لشعور رقيق :

— كنت أعلم أنك ستفوز ، فانت لست بالشئ القليل .

أجبتها بارتياح :

— الحقيقة أنني شككت في قيمة ما قدمت ومررت بالحظات من اليأس  
الاسود ، خصوصا عندما تجل لي فهم آخر للقبلة التي كانت موضوع المقالة  
مع أنني عندما خرجت من قاعة الامتحان ، كنت مسرورا بما قدمت وعلى يقين  
من أنني فهمت القبلة ، لكن كلما مر يوم ولم تظهر النتيجة ، ازداد قلقي  
وتجلست لي نقائص العمل الذي قدمته ولم تظهر النتيجة .

— انت تقسو على نفسك كثيرا ، وتقلل من شأنك . وقد كنت أنا أيضا  
أيأس عندما رأيتك تسلم بالفشل قبل ظهور النتيجة لولا معرفتي العميقة  
لك ويني بأنك رغم ما تبديه من تشكك ، لا بد أن تكون قد قدمت  
عملا جيدا .

... ليلتها بتنا نعلم . نتقلب في الفراش ونعلم .

قالت بلهجة تشوبها الحدة :

— لن تسافر وحدك الى العاصمة ، أريد أن أكون معك رجلي على رجلك .

ثم أردفت مازحة : هل تريد أن تخطفك امرأة من نساء العاصمة أو من  
النساء اللاتي سيدرسن معك خلال الثلاث سنوات .

ارتفع صوت البنت التي حسبناها قد نامت :

- أنا أيضا أحب أن أكون معك فى تونس ، لا أحب أن تتركنى وتسافر وحده .

وقال الطفل :

- حتى أنا أحب تونس لان فيها حديقة حيوانات .

تقلبنا كثيرا فى الفراش وهرب النوم من أعيننا . لم نكن نملك طريقة نعبر بها عن فرحتنا غير الحديث فبتنا نتحدث . نغمض أعيننا قليلا ونحاول أن ننام فلا نستطيع فنعود الى الحديث . ليلتها غادر عليك النوم غرفتنا وحل بها عليك السرور وبات يرسم لنا لوحات من الفرح الماون .

قالت زوجتى تريد أن تتأكد إن كنت سأأخذها هى وابنيها معى الى العاصمة :

- هل ستسكن مع بعض الزملاء أم ستبحث عن منزل بمفردك لتأخذنا معك ؟

- لن نسبق الاحداث على كل حال ! فما هذا الا نصف الامتحان . وعندما يتم قبولي فى الاختبار الشفاهى سوف أحاول أن أذكهم معى .

- ستنتج باذن الله ، أنت نفسك قلت لي منذ أيام : إنه اذا من عليك الله بالنجاح بعد اليأس الذى حل بك قبل ظهور النتيجة بأيام فمعناه أن الله « مسهل لك » فيها وسوف تقبل فى الاختبار الشفاهى .

- أخشى أن أفاجا بموضوع لا علم لي فيه ، وتكون الحبيبة آنذاك قاسية على النفس .

- لقد نجحت فى الأهم ، فكن واثقا من نفسك ولا تتشام . واعتبر نفسك من الآن متفقدًا للتعليم الابتدائى .

هذا ليس بالكثير عليك ، لكنك تحب أن تتواضع وتقسو على نفسك .

... تعبنا من التقاب فى الفراش وثقلت عيوننا ولكننا لم نثم فصرنا نهذى الى أن ظهرت خيوط الفجر عبر بلور النافذة . عندما عاد عليك النوم الى غرفتنا وأخذنا فى مركبته الاثيرية المريحة ساعة او ساعتين .

★ ★ ★

انقلبت ضدي أيها الليل وأوقعتني في جبالك التي كنت تنسج خيوطها في الظلام ، وقطعت جناحي عندما أوشكت على الطيران . فتحت لي شواطئك الساحرة وكنت أحسبها جنتي فإذا بك تحاصرني وتسلبني جواز سفري الى حياة أفضل ، أجريت أنهارك العذبة في أرضي العطشى وعندما ظهرت أولى الأعشاب الخضراء على أديمها غيرت وجهة أنهارك وتركت أرضي لصقيع الشتاء وحر الصيف ، أيها الليل الاسود ، أنت غراب دميم الطلعة ، وأنا أكرهك ، كنت مخطئنا حين أحببتك يوما وفتحت لك دفاتر قلبي وتهمت في مدالك وناجيتك ، كنت عاطفيا تنقصني الخبرة بالآخرين وبالدنيا حين اتخذت منك صديقا حميما وعشقت رقتك وشغافيتك وجالستك الساعات الطويلة تحت ضوء القمر .

★ ★ ★

عاد الرجل يجر خطاه ، في رأسه أفكار سوداء وفي صدره غم ثقيل . طرق الباب طرقا خفيفا على غير عادته ، كانت زوجته وراء الباب تنتظره متلهفة الى خير سعيد يبدد قلق الايام الطويلة التي مضت وهما ينتظران النتيجة النهائية .

فتحت الباب وقبل أن يدخل سألته كماداتها كل يوم : إن كان لديه خبر . وعندما رفعت بصرها ورأت وجهه ، اضطربت وراحت تسأله جملة من الاسئلة :

— هل ظهرت النتيجة ولم تنجح أم هل حدث لك مكروه ؟ أرجوك أجبني ، وإذا كنت تحمل خبرا عن اهلي أو أهلك فأخبرني . أنت غير طبيعي ووجهك يوبخ بذلك .

لم ينبس الرجل بكلمة وتركها تتخبط في أسئلتها واسمبب الى غرفة النوم . وهناك استلقى على فراشه في الظلام وهام في خيالاته ، بدت له حياته المهنية كابوسا ثقيلا وتذكر سنواته العشر التي انتزعتها منه المهنة الشاقة بين الريف والمدينة ، وتذكر جفاف الحلق والصداع الحاد كالسكين وآلاما في القدمين كأنها المسامير تغرس في العظام ، وأطفالا لا يرحمون وأصابع ترفع بالحاح وتكاد تفقا العيينين وضجيجا يفتر وقلبا يعتصر ويفنى قطرة قطرة .

السنوات لا تزال طويلة أمامه فى هذه المهنة الشاقة التى بددت أماني طفولته . عندما كان تلميذا بالمعهد الثانوى كان مولعا بالرسم وبالالوان . وذات يوم وقف مشدوها أمام لوحات تشكيلية عرضتها أستاذة الرسم فى المعهد الذى يدرس به ، كانت أولى اللوحات التى رآها فى حياته واكتشف فيها جمال الالوان التى تتدرج فى الاضاءة والتعتيم ، كانت درجات الاخضر والازرق التى رآها آنذاك فى تلك اللوحات ذات سحر غريب . ومنذ ذلك الحين ازداد تعلقه بالرسم وتمنى أن يصبح رساما محترفا يقضى حياته فى رسم الاشياء الجميلة ، واكتشاف الالوان الخلابه ...

حكايته طويلة مع الرسم وهذا بيته يزدحم باللوحات ، لكن يبدو أنه صار لا يرسم الا نادرا لان اللوحات تكدست فى البيت ولم يعد يعرضها حتى فى بلدته مثلما كان يفعل كل سنة لانه تأكد بعد تجارب عديدة أن ذلك غير ذى جدوى .

لقد أنفق الكثير من وقته وماله لدراسة الرسم بالمراسلة ثم بعد ذلك لانجاز هذه اللوحات الكثيرة التى لا يبيع منها الا نادرا ، تمنى كثيرا أن يلتحق بالجامعة ليتخرج منها بشهادة عليا تجعل آفاقه الفكرية والمهنية أرحب ، لكن الجامعة صددته لانه يحمل شهادة معلم قرشيحي .

كان الامتحان الذى أجراه الفرصة الوحيدة الكفيلة بإراحته من الوقوف يوميا أمام الاطفال ليموت ببطء ، وكان القشة التى طفت فوق الماء وهو الغريق يبحث عن أى شىء يتعلق به .

... لحقت به زوجته فى غرفة النوم وحاولت استدراجه الى الحديث لكنه أبى أن ينبس بكلمة .

ضاق صدر المرأة فهيات الفراش لابنيها واطفات النور وساد السكون الغرفة .

لم ينام ولم تنم زوجته ، تقلبا كثيرا وتنهذا كثيرا ولكنهما ظلا صامتتين الى أن أدرك المرأة النوم ، وبعدها بقليل استسلم هو بدوره الى نوم خفيف .

ولم يمض هزيع كبير من الليل حتى نهض وأضاء الغرفة ، ثم لبس ثيابه وغسل وجهه وسوى شعره وأخذ حقيبة وضع فيها بعض الامتعة . وقبل أن يفتح الباب الخارجى أفاق زوجته وأخبرها بأنه ذاهب الى « البلاد » ويعني ريف آبائه وأجداده ، بقيت المرأة مذهولة ولم تقل له شيئا .

\* \* \*

عندما كان يصعد المرتفع المطل على بيتهم القديم الذى لم يره منذ سنتين ، كان الفجر يتلاشى والنور يتأكد فتتكشف مفاتن البادية وتظهر الارض وردية موشاة بخضرة حقول القمح ونبات الحلفاء . وأحس برائحة الشيع تسرى فى صدره فتنفس الصعداء وأخذ حفنة من تراب وضغط عليها فى يده ثم قربها من أنفه وراح يشمها :

— ما أزكى رائحتك أيتها الارض الطيبة وكم أنا مشتاق اليك ، أنت مهد سعادتي الاولى ومنذ فارقتك لازمتنى المتاعب ، تعاقبت السنون وأنا بعيد عنك وعرفت بلادا كثيرة ولم أر أجمل منك ولا عرفت الأفراح التى غمرتني بها وأنا صغير وفقير . ترابك الاحمر هذا ظل فى ذاكرتي ، وقد رأيت أثره كثيرة سوداء وبنية وبيضاء وصفراء ورائحتها ذكية وخصوبتها مختلفة ولم أعرف أبدا ترابا أزكى رائحة من ترابك .

ها أنا أعود اليك أيتها الارض الوفية بعد أن هزمتنى المدينة لامكت هنا بين هذه الهضاب والجبال والسهول التى تمتد أمامي وأنعم بجمالها بعيدا عن العيون النهمة .

... عندما دنا بيتهم القديم ، ألمه أن يجده متداعيا للسقوط ، وقد نتشت حجارتة وظهرت بينها شقوق تتفاوت فى العمق .

دخل الغرفة الوحيدة فوجدما تعبق برائحة قديمة تذكره بسعادة ذهبت دون رجعة .

— أين أخذتك رياح الزمن أيها العمر القديم وأين ذهبت أفسراحك التى كانت تملأ نفسي ؟ أين سنابلك الصفراء كالذهب التى كانت تتسالف فى وجداني ؟ وأين بعثرت السنوات أنفاس الطفولة العابثة ؟..



ترك الحقيبة في البيت وخرج هائما بين نبات الحلفاء ، نزل الى الوادي المجاور ، غربي البيت ، تذكره عندما كان يفيض إثر نزول الامطار ، كان هديره يصل الى البيت فيهب الى رؤيته ، كان منظرا يحرك فيه احساسه بالجمال منذ الصغر .

مضى بعد ذلك الى الاراضي البور التي تركها أبوه وعمه للرعاة يرتعون فيها بقطعانهم واستقروا بالمدينة ، فأحزنه أن يجدها عارية الا من الحجارة وبعض النباتات الشائكة ، وبالقرب منها أرض أخرى لبست حلة خضراء تسطح فيها الشمس فترقص فيها الظلال وتزهو الاضواء .

وبعد مرور يومين على قدومه الى الريف ، بينما كان يفكر في الاستقرار نهائيا في أرض آبائه وأجداده وإحيائها والاعتناء بها ، رأى زوجته وابنيه قادمين نحوه ، اهتزت نفسه وأسرع نحوهم .

قالت زوجته : لا بد أن تعود معنا الآن لان مدير المدرسة سألني عن سبب غيابك وسوف تتعقد الامور اذا لم تستأنف عملك في أقرب وقت .

أخذهم الى البيت الريفي المتداعى وقال : نأكل ما بقي لي من طعام وتستريحون قليلا أولا .

قالت الزوجة : لقد جلبت لك طعام الغداء .

### منور النصري

انتهت يوم غرة نوفمبر 1987

بالنصرين

# الفهرس

العدد الأول ( جانفي - مارس 1988 ) من المجلد العشرين

3	قصص	تصدير
5	محمود بلعيد	العصفور والقطار
10	ابراهيم الأسود	حكاية الحمار الأصهب
18	محمد الحموسي الحناشي	الموت بلا مقابل
23	جلول عزونة	من أجل إضافة عربية في ميداني القصة والرواية
35	نافلة ذهب	حديث حول الضميت
38	عبدالوهاب الفقيه رمضان	أسد في الحربة
43	ويم العيساوي	إنها غلطة
47	احميدة الصولي	ممارسة الصعب .. التحدي
50	محسن بن ضياف	ليلة عيد الميلاد
59	عبد الحميد عبد الواحد	دراسة تحليلية ( رواية رجال في الشمس )
83	دليلة الزيتوني	لا سلطان إلا للحب
87	نور الدين بن بلقاسم	زمن ولا رجال
97	منور النصري	معكم على الدوام ... يا أطفال

تم طبع هذه المجلة بمطبعة الشركة التونسية لقنون الرسم  
تحت عدد 341 / 88 - الايداع القانوني 2 / 88